تربية الأولاد..
والأدب الحسن

الفقيرة إلى الله تعالى
إيمان مغازي الشرقاوي

دار البشير للثقافة والعلوم

اســم الكتــــاب: تربية الأولاد.. والأدب الحسن
التــأليــــــــــف: إيمان مغازي الشرقاوي
موضوع الكتــاب: تربية
عـــدد الصفحــات : **220**
عـــدد المـــــلازم :**13.75**
مقاس الكتـــاب : **14 × 20**
عـــدد الطبعـــات : الطبعة الأولي
الإيداع القانونــي : **2014/2839**
الترقيم الدولــي : **I.S.B.N.978/977/278/418/7**
الصــف التصويري: الندي للتجهيزات الفنية

التوزيـع والنشـر

مصر
darelbasheer@hotmail.com
darelbasheeralla@gmail.com
ت : **01152806533 - 01012355714**

دار البشير للثقافة والعلوم

1436 هـ
2015 م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ : «ما نحل والد ولده، أفضل من أدب حسن» (الجامع الصغير- صححه السيوطي)

إهداء

إلىٰ زوجي الكريم- حفظه الله- وقد تشابكت أيدينا معا في رحلة الحياة من أجل تربية أولادنا علىٰ حب الله ورسوله .

وإلىٰ أبنائي الأحباب - وفقهم الله- وهم علىٰ عتبات الأبوّة يطرقون أبواب التربية في مقتبل حياتهم الزوجية .

وإلىٰ زوجاتهم الحبيبات وهن يسعين مع أزواجهن يدا بيد لتربية الولد مع ما يواجهن من قسوة التحديات وتنوع العقبات .

وإلىٰ كل شاب وشابة في طريقهما لحياة زوجية سعيدة يرجوان منها الذرية الصالحة .

وإلىٰ كل أب وأم يريدان أن يجنيا ثمرة حلوة من شجرة التربية في حياتهما، ويطعما أثرها بعد مماتهما .

وإلىٰ أولي الاختصاص والمهتمين بالتربية في كل مكان

وإلىٰ طلابي وطالباتي الأعزاء وهم يحرصون علىٰ طلب العلم للعمل به .

أهدي هذه الكلمات لهم جميعا علها تقع من القلوب موقعا مؤثرا، وتتحول من حيز الحروف والكلمات إلىٰ آفاق العمل المثمر البناء ابتغاء وجه الله .

داعية لهم بالعون والتوفيق

إيمان مغازي الشرقاوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم، **أما بعد**

فقد أمر الله تعالىٰ عباده أن يجعلوا حياتهم كلها له سبحانه وتعالىٰ؛ قال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١) والحياة تشمل الجانب المعرفي وهو المسائل النظرية والجانب العملي وهو التصرفات العملية. وكما أنه لا يصلح عمل دون علم، فإنه لا يصلح علم دون عمل، وهذا الشطر الثاني هو الذي تختص به التربية.

فالتربية هي عملية تحويل للعلم النظري المجرد إلىٰ سلوك عملي واقعي دون تكلف رجاء مرضاة الله وخوفا من غضبه، وفي هذا تحقيق للركن الواجب في الإيمان وهو العمل. ولما كان الأصل الشرعي أن «**ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب**» كانت «**التربية**» واجبة.

---

(١) سورة الأنعام، الآية :162،163.

وفي القرآن الكريم إشارة مهمة إلىٰ التربية، بل إلىٰ أهميتها ووجوب الاهتمام بها؛ قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [1] ففي هذه الآية الكريمة بيان لبعض أهم مهام النبي ﷺ وهي:

أولا: تلاوة القرآن الكريم والتي تمثل تبليغ الوحي بألفاظه دون زيادة أو نقصان كما سمعه من جبريل عليه السلام .

وثانيا: التزكية، وهي تحويل العلم النظري إلىٰ سلوك عملي؛ تزكو به النفوس، وتحصل به التقوىٰ -التي هي المقصد الأساس من الشريعة- فتكون التزكية بهذا المعنىٰ مرادفة للتربية.

وثالثا: الحكمة وهي بيان القرآن الكريم، والمتمثلة في السنة النبوية.

ولاحظ هنا تقديم الجانب العملي وهو «**التزكية**» علىٰ الجانب العلمي النظري؛ بيانا لأهميتها ومكانتها وحثا للمؤمنين علىٰ الاهتمام بها.

---

(١) سورة الجمعة، الآية :2.

والتربية ـ بهذا المعنىٰ ـ تعتبر أحد أعظم وأهم الإنجازات التي نجح فيها نبينا محمد ﷺ نجاحا باهرا لا يُعلَم من نجح فيها مثله؛ حيث إنه صنع من أصحابه الذين آمنوا به علىٰ اختلاف قدراتهم وإمكاناتهم وطبقاتهم الاجتماعية وألسنتهم وألوانهم وتفاوت مدة صحبتهم له جيلا فريدا؛ تحولت فيه مبادئ الإسلام وأحكامه من الحيز العلمي النظري إلىٰ الحيز العملي الواقعي؛ فالتزموا بها في أنفسهم عقيدة وعملا ثم نقلوها إلىٰ الجيل الذي بعدهم حتىٰ وصل الإسلام إلىٰ ما وصل إليه من القوة والعظمة والانتشار.

ومن أبرز مظاهر النجاح النبوي في التربية هو قيام النبي ﷺ بإعداد جيل من الناس أغلبهم ما بين سن الشباب وسن الكهولة – من الجنسين – وهو ما يجعل مهمة المربي صعبة جدا وشاقة، قد تصل إلىٰ حد المستحيل أحيانا، حيث إن أغلب النظريات التربوية ـ إن لم تكن كلها ـ إنما تنطلق من أن سن التربية يبدأ في مرحلة الطفولة من أجل أن تؤتي التربية ثمارها علىٰ أحسن وأكمل وجه!

من أجل هذا، فإن المربي الناجح هو الذي لا يتقيد في أداء مهمته بسن معينة، ولا يعتبر أن من تجاوز سن الطفولة فهو

ميؤوس من تربيته أو علىٰ الأقل لا يتوقع منه ما يتوقع ممن تلقىٰ التربية في سن مبكرة.

وهذا الكتاب الذي بين يديك ـ والذي تشرفت بتقديمه ـ من تأليف المربية الفاضلة الأستاذة إيمان مغازي الشرقاوي يجمع بين دفتيه مسائل مهمة ولطائف قيمة في تربية الأولاد مقتبسة من كتاب الله تعالىٰ ومما صح من سنة النبي ﷺ بأسلوب رائع، وعبارة شيقة؛ عرضتها الأستاذة الفاضلة حسب خبرتها الطويلة في مجال التربية والتعليم، وما تزال في هذين المجالين تقدم وتبذل – بتوفيق الله وعونه – دون كلل أو ملل؛ لذا فهي صاحبة صنعة تربوية أصيلة حيث جمعت بين التخصص العلمي الشرعي والخبرة العملية الطويلة.

فالكتاب إضافة قيمة لمكتبة التربية الإسلامية، وأحد الأسفار التي يستفيد منه المربون وخاصة الوالدان، ومكنز لمجموعة مباركة من الأحاديث النبوية الصحيحة في موضوع التربية يعز أن توجد في سفر بهذا الحجم والأسلوب والترتيب والتشويق .. أنصح بقراءته، والإفادة منه، ونشره وتوزيعه بين الأسر المسلمة.

أسأل الله أن يتقبل من الأستاذة الفاضلة وأن ينفع به كل من

قرأه وأن يصلح أحوال المسلمين ويردهم إلىٰ كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ وأن يرد كيد أعدائهم في نحورهم ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

د. عثمان بن محمد الأخضر شوشان

المدير الأكاديمي للمعهد

الأوروبي للعلوم الإنسانية

برمنجهام/ المملكة المتحدة

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد رسول الله؛ أعظم أب وأفضل مربي علىٰ وجه الأرض، قدوتنا علىٰ الدوام.. فصلوات ربي وسلامه عليه، تركنا علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.. أما بعد..

فإن هذا الكتاب الذي بين يديك -أيها القارئ الكريم- هو جهد المقل في رحلة من رحلات الحياة التي يمر بها معظم الناس.. رحلة التربية.

والتربية الصحيحة لها دلالات وهي ذات شقين لا تصلح إلا بهما، فهي علم وعمل، ودعوة وتطبيق، وتوجيه وقدوة، فالمربي الناجح هو الذي يعرف كيف يكون النجاح ويوقن أن فاقد الشيء لا يعطيه فيدفعه ذلك للأخذ بأسباب التربية الصالحة في نفسه أولا ومن ثم يهب ويعطي مما أعطاه الله.

والتربية الصحيحة لا تأتي من طرف واحد- من الأب فقط أو الأم- وإن كانت تثمر أحيانا، لكنها تكون أحسن ما تكون إذا ما

توحدت الجهود وتكاتفت الأيدي وتوافقت الآراء وكان الوالدان يدا واحدة في سبيل إنبات تلك البذرة الوليدة، فيدٌ تطعم وأخرىٰ تسقي.. ويدٌ تعالج وتحتضن وأخرىٰ تدفع الآفات؛ حتىٰ تنمو النبتة وتصير شجرة مثمرة.

وقد أتيت في هذا الكتاب المتواضع بمراحل التربية في أعمار الولد المختلفة، وذلك تنبيها علىٰ اختلاف طرق وأساليب التربية باختلاف العمر، وهو عبارة عن بعض التجارب والخبرات من محيط الأمهات والأولاد والواقع من حولي، وأتبعت ذلك بذكر بعض قصص الآباء والأبناء في القرآن الكريم للتعلم وأخذ العبرة، حاولت أن أوصل ذلك للوالدين وألفت الأنظار إليه في عصر صارت التربية فيه من أصعب الأمور إن لم تكن أصعبها، لكن توفيق الله تعالىٰ ثم النية الصالحة من الوالدين والعزم علىٰ استكمال مسيرة الحياة وإعمار الأرض كما أمر الله؛ يجعل الصعب سهلا والعسير يسيرا.

فإذا ما قصرتَ أيها الوالد، وإذا ما كسلتِ أيتها الوالدة فتذكرا قول النبي ﷺ: «**إذا مات الإنسانُ انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا**

من صدقة جارية. أو علم ينتفع به. أو ولد صالح يدعو له»[1].

نسأل الله تعالىٰ أن يوفقنا لما يحب ويرضىٰ وأن يحفظ أولادنا وذرياتنا ويهدينا وإياهم سواء السبيل، كما أسأله سبحانه أن يتقبل هذا الكتاب خالصا لوجهه الكريم وأن ينفعني به ووالديّ وكل من قرأه ودل عليه، إنه هو الموفق وهو يهدي السبيل، وما كان من توفيق وصواب فمن الله عز وجل وحده، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وما كان من خطأ فمني أسأله عفوه وغفرانه. ولا أنسىٰ تقديم شكري الخاص لفضيلة الشيخ الدكتور عثمان شوشان – حفظه الله– علىٰ تفضله بالتقديم له، جزاه الله خيرا، والشكر موصول لكل من ساهم في إخراج هذه الكلمات إلىٰ النور وعلىٰ رأسهم دار البشير التي تقوم بطباعته ونشره..
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إيمان مغازي الشرقاوي

برمنجهام- المملكة المتحدة

8 **من شهر صفر** 1436**هـ**

30 **من شهر نوفمبر** 2014**م**

---

(١) رواه مسلم.

الأَدَبُ الحَسَن..

آمالٌ وَتَحَدّيَات

1
الأَدَبُ الحَسَن..آمالٌ وَتَحَدّيَات

إنه الأدب الحسن الذي يبدأ مع الآباء منذ أن كانوا صغارا ويمتد معهم بعد أن صاروا آباء، ويلازمهم في طور التربية لأولادهم، ثم مع أحفادهم، وهكذا فهو سلسلة متصلة الحلقات من جيل الأجداد والآباء والأحفاد والأبناء.

ولا أحد ينكر ما للأدب الحسن من أهمية وفضل، علىٰ المستوىٰ الفردي والجماعي، وعلىٰ بناء الأفراد والأسر والمجتمعات، ولا شك أن دور الآباء والمربين في هذا الجانب كبير، ولا شك أيضا أن فاقد الشيء لا يعطيه، لذا فإن الأدب الحسن لا يختص بالأولاد فقط.

والأدب الحسن لأولادنا يتعرض اليوم لهجمات كثيرة وشرسة ومؤثرة تقلل من فاعليته، وتشارك معنا –رغما عنا– في تأديبهم وتربيتهم، بل وتفسد علينا بعض ما نبذله لهم من ذلك الأدب، فتمتد معاول الهدم من هنا وهناك تحاول هدم ما تم بنيانه

أو تقويضه، لذا فإن علىٰ المسلمين والمربين أن يتحلوا بالوعي الكامل تجاه ما يحصل، وأن يتكاتفوا في سبيل صد تلك الهجمات، وتتوحد جهودهم في سبيل إيجاد بدائل مماثلة صالحة تبذر معهم بذور التربية الصالحة والأدب الحسن.

الأدب:

والأدب في اللغة: حسن الخلق وفعل المكارم.

وقيل: هو تعلم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق.

وقيل: الأدب يقع علىٰ كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل.

وهو استعمال ما يُحمد قولا وفعلا أو الأخذ أو الوقوف مع المستحسَنات أو تعظيم مَن فوقك والرفق بمَن دونك.

وقيل الأدب: ملكة تعصم مَن قامت به عما يشينه.

والأدب الذي يتسمىٰ به الأديب من الناس سُمي أدبا لأنه يأدِب الناسَ إلىٰ المحامد وينهاهم عن المقابح.

أدَّبَه: راضَه علىٰ محاسن الأخلاق. ولقَّنه فنون الأدب. وجازاه علىٰ إساءته. ويقال: أدَّب الدابة: روَّضها وذلَّلها . وتأدّب: تعلم الأدب.

ويقال: تأدب بأدب القرآن، أو أدب الرسول: احتذاه.

الأدب.. والتحديات:

وأولادنا اليوم يتعرضون ل مؤثرات كثيرة تغير من أدبهم وسلوكهم من حيث الحسن أو القبح، وقد تكون تلك المؤثرات داخلية تتمثل في الأسرة من وَالِدَيْن وإخوة وأخوات وأقارب ، وهذه لا عذر لنا فيها حيث أن واجبها الأول ومهمتها الأساسية هي بذل الجهد في التربية وحسن تأديب الأولاد فيها، لكن للأسف قد يفتقد أولادنا القدوة الطيبة داخل أسرهم وبين والديهم وأهليهم، فيأمره والداه بأمر أو ينهيانه ولا يقدمان له القدوة منهما في هذا الأمر أو النهي، وهذا من أخطر آفات التربية، وإن لنا في النبي ﷺ القدوة الحسنة، وقد رباه الله وصنعه علىٰ عينه ليكون قدوة للعالمين. قال محمد بن علي: (أدّب الله محمدًا ﷺ بأحسن الآداب، فقال: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [1] ، فلما وعىٰ قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ ﴾ [2]).

---

(١) سورة الأعراف، الآية :199.

(٢) سورة الحشر، الآية:7.

فكان خلقه القرآن، وكان قرآنا يمشي علىٰ الأرض، وكان يدعو أصحابه بالقول والعمل معا، فصار أعظم وأحسن قدوة.

أما المؤثرات الخارجية فهي متنوعة ومنها الجار والصديق، والمدرسة والمعلم، والمسجد والشيخ، والشارع والبيئة، والمجتمع والناس، ووسائل المعلومات والاتصالات ، وكل ذلك يشارك –داخل الأسرة وخارجها– في صنع هذا الأدب والتأثير عليه سلبا وإيجابا . لذا فنحن جميعا مطالبون بتربية أولادنا الأدب الحسن الذي يجعل منهم لبنات صالحة في مجتمعاتهم التي تضمهم، وفي أمتهم الواحدة التي ينتمون إليها، وقد أمرنا بذلك النبي ﷺ فقال: «**أكرِموا أولادَكم وأحسِنوا أدبَهم**»[1] .

الطفولة.. والأدب الحسن..

ورغم كثرة التحديات في وجه التربية، إلا أن الأمل لا يزال متعلقا بالأسرة، فهي المحضن الرئيس للأولاد ، وحينما نذكر الأسرة فإننا نريد أن يعود لها سالف عزها وترابطها وائتلافها وحبها، وقوتها وأثرها، وأن يكون لها دورها العظيم والعبء

(١) المنذري – الترغيب والترهيب.

الأكبر في التربية والتنشئة على أدب الإسلام وأخلاقه العالية مهما كثرت التحديات من حولها، فقد خولها الله أن تقوم بأعظم مهمة، وأن تغرس أفضل غراس وتحصد أطيب ثمار، وذلك بالأدب الحسن لأولادها، فلا زالت السنون الأولى في عمر الولد والتي يقضيها غالبا في مدرسة الأسرة ، هي أهم مراحل التربية واكتساب الأدب، ومن هنا فإن الفرصة في تأديب الولد تثمر بإذن الله كلما كان صغيرا، وكما قيل إن العلم في الصغر كالنقش على الحجر، ومن أدّب ابنه صغيرا، قرّت به عينه كبيرا.

وكما قال الشاعر:

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل: وليس ينفع بعد الكبر الأدب

إنَّ الغصون إذا قوَّمتها اعتدل: ولا تلين إذا قوّمتها الخشب.

لذا حث النبي ﷺ الوالدين على حسن التربية منذ الصغر، وبشرهما بأن هذا العمل صدقة جارية وأن الولد الصالح خير استثمار لهما، فقال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له** »[1]،

---

(١) صححه الألباني- صحيح الترمذي.

كما رغب في ا لجليس الصالح ، والجار الصالح، فقال: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك، أو تجد منه ريحا خبيثة** »[(١)].

وقال: «**من سعادة المرء؛ الجار الصالح...**» [(٢)].

ورغب في اختيار الصديق الصالح فقال: «**لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي** »[(٣)]. وقال: «**الرجل علىٰ دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[(٤)].

وكذا فإن اختيار البيئة الطيبة لغراس التربية يساعد ويشارك في حسن الأدب ، قال تعالىٰ :﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ﴾[(٥)].

وفي قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا وأراد أن يتوب فقيل له: «**انطلق إلىٰ أرضِ كذا وكذا. فإن بها أناسًا يعبدون الله**

(١) رواه البخاري.
(٢) الألباني- صحيح الترغيب.
(٣) صححه السيوطي- الجامع الصغير.
(٤) حسنه السيوطي- الجامع الصغير.
(٥) سورة الأعراف، الآية: 58.

فاعبد الله معهم ولا ترجع إلىٰ أرضك فإنها أرض سوء» [١]. وغير ذلك من المؤثرات الإيجابية علىٰ الفرد والجماعة ك التعلق بالمساجد، وطلب العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . كل ذلك له تأثير قوي في العملية التربوية الأسرية والمجتمعية لا ينكرها أحد.

قالوا في الأدب الحسن:

أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره. فما استُجْلِب خيرُ الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانهما بمثل قلة الأدب[٢].

لا ينبل الرجل بنوع من العلم ما لم يزين عمله بالأدب[٣].

علم بلا أدب، كنار بلا حطب. وأدب بلا علم، كروح بلا جسم[٤].

الأدب نور العقل، كما أنّ النار في الظلمة نورالبصر[٥]..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) ابن قيم الجوزية في مدارجه.

(٣) ابن المبارك.

(٤) أبو زكريا العنبري.

(٥) الأحنف.

الأدب رياسة[1].

اطلبوا الأدب فإنّه عون علىٰ المروءة، وزيادة في العقل، وصاحب في الغربة، وحلية في المجالس[2].

الأديب من اعتصم بعزّ الأدب من ذلّة الجهل، ولم يتورط في هفوة، وكان أدبه زلفىٰ إلىٰ الحظوة في دنياه وأخراه.

تأدبوا فإن كنتم ملوكـًا سُدتم، وإن كنتم أوساطـًا رفعتم، وإن كنتم فقراء استغنيتم[3].

ووصف أعرابي الأدب في مجلس معمر بن سليمان، فقال: الأدب أدب الدّين، وهو داعية إلىٰ التوفيق، وسبب إلىٰ السعادة وزاد من التقوىٰ، وهو أن تعلم شرائع الإسلام، وأداء الفرائض، وأن تأخذ لنفسك بحظّها من النافلة، وتزيد ذلك بصحّة النية، وإخلاص النفس، وحبّ الخير، منافسـًا فيه، مبغضـًا للشرّ نازعـًا عنه، ويكون طلبك للخير، رغبة في ثوابه، ومجانبتك للشر رهبة من عقابه، فتفوز بالثواب، وتسلم من العقاب، ذلك إذا اعتزلت ركوب الموبقات، وآثرت الحسنات المنجيات.

---

(١) محمد بن جعفر.

(٢) شبيب بن شبية.

(٣) ابن القرِّيَّة.

الأدب الحسن خير ميراث:

أفضل ما يورث الآباء الأبناء الثناء الحسن والأدب النافع والإخوان الصالحون[1].

ومن أجمل ما قيل في حسن الأدب قول الشاعر:

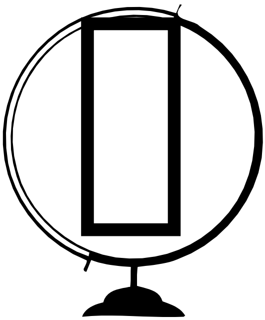
خير ما ورث الرجال بنيهم أدب صالح وحسن الثناء

هو خير من الدنانير والأوراق في يوم شدة أو رخاء

تلك تفنىٰ والدين والأدب الصالح لا يفنيان حتىٰ اللقاء

إن تأدبت يا بني صغيرا كنت يوما تعد في الكبراء

(١) ابن المقفع.



العَطِيّة..

وَالوَدِيعَة

2

العَطِيّة.. وَالوَدِيعَة..

أرأيتَ يا عبد الله إذا رزقك الله تعالىٰ منه رزقا حسنا، فأعطاك عطية كبيرة يتمناها الكثيرون، ولا يعرف قدرها الحقيقي إلا من حُرم منها، فهي لا توزن بمال ولا تقدر بثمن.. أكنتَ مضيعها في يوم من الأيام، أم أنك ستجعلها في حرز أمين وتحفظها بعيدا عن أعين الحاسدين وأيدي اللصوص والسارقين؟

وماذا لو خصك وحباك وأهداك هدية ثمينة هي أغلىٰ من كل هدايا الناس، ولا يستطيع أحد مهما بلغت قوته أن يهبك مثلها، فوهبها الله لك خالصة مخلصة بشرط أن تشكره عليها وتحافظ علىٰ قيمتها ونفاستها وتحفظها من كل ما يضر بها، أكنتَ ترفض قبولها وهي النفيسة الغالية، أم أنك ستطلب المزيد منها بعد أن تقوم بحقها وتوفي بشرطها؟

وما الحال لو استودعك الملك العظيم وديعة هي أكرم الودائع في عالم الدنيا، ووضعها أمانة بين يديك وأذن لك في استثمارها

ونمائها وزيادتها، وخولك للتصرف فيها لسنوات عدة، ووعدك الأجر الجزيل والعطاء العظيم إذا ما حفظت أمانتها، بل وجعل لك ريعها في حياتك وبعد مماتك شريطة أن تحافظ عليها وألا تغضب إذا ما استردها منك متىٰ أراد وكيفما شاء، ألا يجدر بك أن تقبل الوديعة وتتعامل معها بكل أمانة وحب وإخلاص وتفان حتىٰ تربح وتنال رضا مالكها العظيم.

هكذا أولادنا- من البنين والبنات- فلذات أكبادنا وثمر قلوبنا وغراس حياتنا، وهم لنا جميعا أحسن عطية وأنفس وديعة وأغلىٰ هدية من الله تعالىٰ المنعم المعطي الوهاب، فله الحمد وله الشكر.

الحضانة الدافئة..

لقد كرم الله تعالىٰ الإنسان وفضله، وجعل للنفس البشرية حقوقا واجبة له علىٰ مَن حوله، وذلك من قبل أن يولد، ومن بعد ولادته، في صغره وشبابه، وشيخوخته وكهولته. وتتعدد الحقوق وتتمايز تبعا لكل حال يمر به، حتىٰ تمتد إلىٰ ما بعد الممات، لتحصل الكرامة الربانية لهذا الإنسان الذي خلقه الله تعالىٰ بشرا سويا وميزه بالعقل والإدراك وحباه التفكير والتدبير ومنحه

الاختيار والإرادة وجعله مكلفا رشيدا محاسَبا ، مثابا أو معَاقبا.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (١).

ومن أجل ذلك جعل الله تعالىٰ فترة حضانة ذلك الإنسان وهو طفل صغير في حجر والديه حضانة طويلة، تبدأ منذ الحمل به جنينا في بطن أمه إلىٰ أن يبلغ مبلغ التكليف، فلا ينفصل عن أبويه وأصله، ولا يستغني عنهما بحال إلا بعد أن يشبّ عن طوقه ويأخذ من معين تربيتهما ما شاء الله له أن يأخذ من الرعاية والحضانة والعطاء والإيواء، والحب والرحمة، والدفء والحنان، ليختلف بذلك عن غيره من صغار المخلوقات من الطيور والحيوانات التي لا تحتاج إلىٰ حضانة أمها وقتا طويلا، بل قد يهبّ الصغير منذ ولادته واقفا علىٰ قدميه يسير جنبا إلىٰ جنب مع والديه.

الطفل أمانة منذ أودِع رحم الأمّ..

وأولادنا أكبادنا.. أمانة في أيدينا، ووديعة استودعنا الله تعالىٰ إياها، فكيف نتعامل مع هذه الأمانة ونصون تلك الوديعة ؟ لقد

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

دعانا الله تعالىٰ إلىٰ المحافظة عليها منذ استودعها رحم الأم، واستأمن الأم علىٰ ما في رحمها من ذكر أو أنثىٰ، فلا يحلّ لها ولا لأحد أن يتعدّىٰ علىٰ حياة هذا المخلوق الجنين إلا إذا خيف علىٰ حياتها الهلاك المؤكد. ومن هنا حرم الله تعالىٰ الإجهاض صيانة للنفس البشرية، ومنعا للعبث بالأرواح، كما جعل الله لهذا الجنين حرمة فلا يحق لأمه أن تعرضه للأذىٰ. وهي مأمورة أن تتغذىٰ جيدا لتغذيه، ويرخص لها الفطر في رمضان ليقوىٰ ولدها ويصح، وأن تأخذ بكل أسباب سلامته حتىٰ يخرج إلىٰ عالم الحياة الدنيا بسلام.

فإذا ما خرج وليدا ضعيفا لا حول له ولا قوة جعل الله تعالىٰ له أيضا حقوقا ولنفسه حرمة، فلا يحل لوالديه التخلص منه أو قتله كما كان يفعل أهل الجاهلية فيما حكاه لنا القرآن الكريم. فهذا الطفل الذي كان يلقىٰ من الهوان ما يلقىٰ صغيرا ويعاني من القسوة ما يعاني في الجاهلية ولو كان ذكرا، إذ يذبح تقربا للأصنام، وقربانا للإفك، وزلفىٰ للزور، وإحياء للباطل، وهو هو الذي كان يُقتل خشية الفقر والإملاق، وقد قال النبي ﷺ: «**أعظم الذنب عند الله أن تجعل لله ندا وهو خلقك، ثم أن تقتل ولدك مخافة أن**

يطعم معك....» [١].

أما البنت فلم يكن حظها أوفىٰ من حظ أخيها ذاك، إذ توأد حية خشية العار وغِيرة علىٰ الأعراض في غير محلها، وأنفة من أن تنسَب لأبيها، ويتنزل بذلك كله قرآن يتلىٰ إلىٰ يوم الدين..

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾[٢]

متوعدا هؤلاء القساة بأكبر الخسارة واصفا إياهم بالضلال..

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[٣] ليبطل كل ظلم وجور وضلال ولو كان علىٰ الأبناء،وقد جاء قيس بن عاصم التميميّ إلىٰ النبي ﷺ فقال: إني وأدْت ثماني بنات في الجاهلية قال: «**فأعتق عن كل واحدة بدنة**» [٤].

وكما حفظ الله عز وجل للمولود حياته يسر له أسباب العيش

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) سورة الأنعام، الآية: 137.

(٣) سورة الأنعام، الآية: 140.

(٤) تفسير الطبري.

بسلام فسخر له قلب أبيه ليرعاه ويحميه،، وحَبَا أمه قلبا رحيما يرحمه، وجعل له وهو يتقلب في أحضانها رزقا يطعمه، بل وأنزل في حقه قرآنا يتلىٰ إلىٰ يوم الدين فقال: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ (١) وأثبت له حقوقا عديدة في عنق والديه رغم أنه لا يعي ولا يدرك.

فإذا كانت المحافظة علىٰ بدن هذا الطفل وجسده وصحته واجبة فإن المحافظة علىٰ سلامة عقيدته وحياة روحه ونقاء قلبه وصحة فكره وعقله لهي أوجب وأوجب، وهي أولىٰ بالرعاية. وهذا هو الدور الرفيع الذي يجب علىٰ الوالدين القيام به معه.

السبيل إلى الأدب الحسن..

إن الأدب الحسن الذي ننشده لتغيير النفوس، وتقويم لبنات المجتمعات، لا يأتي من فراغ وإنما هو ثمرة غراس عديدة وتربية عالية علىٰ التأدب بأدب القرآن الكريم، يَنشأ عليها العبد منذ زمن بعيد بفضل الله تعالىٰ، ثم بفضل أبويه حيث كان طفلا صغيرا قاما معه بواجب التربية، حيث ربياه علىٰ الإيمان بالله ومراقبته

---

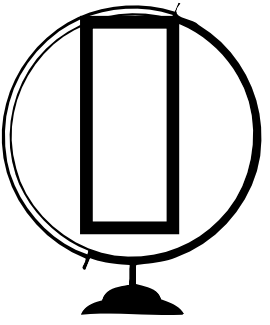
(١) سورة البقرة، الآية: 233.

وخشيته وترك ما ينهىٰ عنه وفعل ما يأمر به، ربياه وغرسا في نفسه أصول الإيمان وبذور اليقين وحب الله عز وجل منذ صرخة الميلاد الأولىٰ ومع تردد كلمات الأذان في مسمعه، منذ أول وهلة وطئت فيها قدمه علىٰ الأرض بخطاه ، ومنذ أول كلمة نطق بها لسانه وتحرك وهو يرىٰ في أبويه القدوة الماثلة أمامه ، في صحوه ومنامه وفي حركته وسكونه، تتجسد في جسم من الأخلاق يمشي معه ويسير بين عينيه سلبا وإيجابا شاء ذلك أم أبَىٰ. يردد ما يسمع ويقلد ما يرىٰ، حتىٰ في حركات عينيه وتقاطيع وجهه ليكون في سنوات عمره الأولىٰ صورة تطابق الأصل الذي ينتمي إليه وترعرع علىٰ يديه، وتتماشىٰ مع الواقع الذي يعيشه والمنشأ الذي يتأثر به والمحضن الذي يحياه ويحيطه إحاطة السوار بالمعصم.

هذه التربية في السنوات الأولىٰ من عمر الطفل لها أثر كبير في سلوكه وحسن أدبه وخلقه، وهي أهم المراحل التي يجب الانتباه إليها والتركيز عليها، لذا فإن علينا أن نبدأ مع أولادنا منذ نعومة أظفارهم ليكون الأدب الحسن لهم سجية وسمة ويسهل عليهم حسن التخلق دون تكلف منهم، أما إن لم يدرك أحدنا تلك التربية في ظل أبويه لسبب ما ، فإن له أن يدرب نفسه عليها

ويأخذها بالعزيمة خطوة بعد خطوة، ويقطع بها شوطا من الجهاد بصبر وجلد لينتصر عليها في نهاية المطاف، وينال درجة عالية من الأدب الحسن فيغير إلىٰ الأحسن بعد أن يتغير هو، والنبي ﷺ يقول: «**إنما العلم بالتعلم، و إنما الحلم بالتحلم، و من يتحر الخير يعطه، و من يتق الشر يوقه**»[1].

(١) صحيح الجامع- حسنه الألباني.



حافظ على

جوهرتك

3

حافظ على جوهرتك

إن أول خطوة للتغيير الإيجابي في حياة الأمم هو تغيير ما في النفوس من أخلاق دنيئة وأدواء سامة، إنه التغيير الذي يعيد للأمة عزتها ونهضتها ويجعلها شامة بين غيرها من الأمم. إنه تغيير الظاهر والباطن تغييرا حقيقيا إيجابيا صحيحا، تغييرا يحفظ معه الدين ويميزه ويؤكد الهوية ويثبتها، وقد قال النبي ﷺ لأصحابه: «إنكم قادمونَ علىٰ إخوانِكم، فأصلحُوا رحالَكم، و أصلحوا لباسكم، حتىٰ تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله لا يحب الفحش و لا التفحش»[1].

والشامَة علامة في البدن يخالف لونها لون سائره. يقال: كأَنهم شامة في الناس: أي هم ظاهرون.

ومن عوامل هذا التغيير التربية علىٰ أسس إيمانية سليمة، ومن أسباب ذلك وعْي الوالدين وفقه كل منهما دوره في هذا الجانب

(١) الجامع الصغير- صححه السيوطي.

الهام الذي هو مقياس التقدم الحقيقي للأمم وعلامة من علامات رقيها ونهضتها، فتغيير الحال إلىٰ الأحسن لن يتأتىٰ بغير معرفة الوالدين ما يجب عليهما تجاه الأولاد، ولن يتحقق ذلك دون تطوير طرق التربية وتعزيز جانب الأخلاق الصالحة في نفوس الناشئة، ولن يثمر إلا بتكاتف الجميع من بيت ومدرسة ومسجد وشارع ومجتمع في تحقيق هذا الهدف، حتىٰ تتعانق الأخلاق مع العلم، والتربية مع التعليم، والعلم مع العمل، وتتناسق في منظومة متكاملة لا يطغىٰ فرع منها علىٰ الآخر أو يمحوه، ويثمر ذلك التكامل المنشود في أفراد المجتمع الذي يمثل كل فرد فيه لبنة من لبناته.

دور الوالدين:

ودور الوالدين هو الدور الرئيس في مدرسة التربية، فهما حجر الأساس فيها، وعلىٰ عاتقهما المسؤولية الكبرىٰ، لأنهما أول محضن للولد، وأول حضانة وحاضنة، وأول مَدْرسة ومُـدرّس، وفي جامعة الحياة ينشئانه. يقول الأستاذ محمد قطب: «**وإذا كان البيت والشارع والمدرسة والمجتمع هي ركائز التربية الأساسية فإن البيت هو المؤثر الأول وهو أقوىٰ هذه الركائز جميعا لأنه**

يتسلم الطفل من أول مرحلة، ولأن الزمن الذي يقضيه الطفل في البيت أكبر من أي زمن آخر ولأن الوالدين أكثر الناس تأثيرا في الطفل».

نعم.. فالوالدان هما النبع الذي يستقي منه المعرفة والعادات والأخلاق صالحها وسيئها، بل والدين والعقيدة، وقد بيَّن النبي ﷺ ذلك وقال: «كل إنسان تلده أمُّه علىٰ الفطرة. وأبواه، بعد، يهودانه وينصرانه ويمجسانه. فإن كانا مسلمين فمسلم..» [1].

القرآن.. والدعوة إلى حسن التربية:

ومن هنا اهتم القرآن الكريم بذلك ولفت أنظارنا إلىٰ حماية أولادنا وأهلينا بحسن الرعاية وصحة التنشئة وسلامة الاعتقاد.. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[2]. قال بعض العلماء: لمَّا قال: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ دخل فيه الأولاد؛ لأن الولد بعض منه. فيعلمه الحلال والحرام، ويجنبه المعاصي والآثام، إلىٰ غير ذلك من الأحكام. وذكر القشيري أن

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة التحريم، الآية: 6.

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لما نزلت هذه الآية: يا رسول الله، نقي أنفسنا، فكيف لنا بأهلينا؟ فقال: «**تنهونهم عما نهاكم الله وتأمرونهم بما أمر الله**». وقال مقاتل: ذلك حق عليه في نفسه وولده وأهله وعبيده وإمائه(١).

فوقاية النفس أولا تعطي القدوة الطيبة من الوالدين للأولاد فيتمّ الاقتداء الصحيح، وأول ما يقدم الوالدين من النصح للولد هو النصيحة العملية منهما المتمثلة في تمام العبودية لله في كل عمل وقول.. وهذا يؤخذ مما روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ يقول اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله وأمُروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار. وق ول مجاهد: اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوىٰ الله.

تربية متكاملة..

ويدخل في طاعة الله التي يُربَّىٰ ويُؤَدَّب الولد عليها كل عمل طيب فيه خير ونفع له ولغيره، وكل علم نافع يتعلمه، وكل خلق حسن يتخلق به، وكل إصلاح في المجتمع يصلحه، وكل سعي للكسب الحلال يسعاه، وكل قوة مشروعة يطلبها لسلامة جسده

---

(١) تفسير القرطبي.

وروحه وعقله، مادية أو روحية ، علمية كانت أو رياضية، وهذا مما يتوجب علىٰ الوالدين تنشئة الولد عليه، حتىٰ لا يفصل الدين عن حياته العملية أو عن سلوكه وأخلاقه، وحتىٰ يعرف أن الدين ليس محصورا في صلوات أو طقوس تؤدىٰ بشكل روتيني بحكم العادة، كما أنه ليس رهبانية وعزلة أو تسيب وانفلات أوعبادات عينية لا يقوم بها غيره، بل هو شامل لكل مناحي الحياة، ومن سمات هذا الدين الوسطية السمحة وأخذه بقوة من جميع جوانبه بلا تفريط أو إفراط، وكذلك هو عمل وجدّ وأخوّة و عِشرة وتحمّل وصبر ومجاهدة . ولا تناقض بين الذكر والتقوىٰ وبين هذه الأعمال، فقد كان النبي ﷺ خير الناس، وقد جمع بين هذا كله في أكمل صورة، فكان قرآنا يمشي علىٰ الأرض، تراه عابدا، عاملا، داعيا صابرا، سياسيا، قائدا ومجاهدا، يعاشر مَن حوله ويصبر عليهم، وكان زوجا وأبا وإنسانا، وقد أمره الله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1]. يعني أن ذلك كله لله خالصا، وذلك هو ما ينبغي أن نربي عليه أولادنا ليحملوا أمانة الدين معنا ومِن بعدنا وينقلوه لأبنائهم ولمَن بعدهم،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: 162.

وينشروا نوره في قلوب الناس في أرجاء المعمورة.

الكل راع.. والكل مسؤول:

فالمسؤولية كبيرة، والمسؤول محاسَب، ومن هنا كان قول النبي ﷺ: « **كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها** »[1]. وقال: «**إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع، حتىٰ يسأل الرجل علىٰ أهل بيته**»[2].

قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته.

وقال الخطابي: ورعاية الرجل أهله: سياسته لأمرهم وإيصالهم حقوقهم. ورعاية المرأة: تدبير أمر البيت والأولاد والخدم.

سؤال الوالد:

قال ابن عمر رضي الله عنهما لرجل: (أدّب ولدك فإنك مسؤول عن ولدك ماذا أدبته وماذا علمته، وإنه لمسؤول عن برك وطواعيته لك).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الألباني- صحيح الترغيب.

وأكّد ابن القيم -يرحمه الله- هذه المسؤولية فقال: قال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده، فإنه كما أن للأب علىٰ ابنه حقا فللابن علىٰ أبيه حق، فكما قال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [(١)] قال: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[(٢)]. قال علي بن أبي طالب: علموهم وأدبوهم. وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [(٣)] فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة علىٰ وصية الأولاد بآبائهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ﴾ [(٤)]. (فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدًىٰ فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثرالأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارا، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارا كما عاتب بعضهم ولده علىٰ العقوق فقال يا

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: 8.

(٢) سورة التحريم، الآية: 6.

(٣) سورة النساء، الآية: 36.

(٤) سورة الإسراء، الآية: 31.

أبت إنك عققتني صغيرا فعققتك كبيرا وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا) [(١)].

حافظ على جوهرتك..

يقول الإمام الغزالي: «**إن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش فيه، ومائل إلىٰ كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم؛ شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة مربيه والقيم عليه**»[(٢)].

(١) تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم (شبكة مشكاة الإسلامية).

(٢) فيض القدير، شرح الجامع الصغير، - للإمامِ المناوي الجزء الثالث.

الجنين

في بطن أمه

4

الجنين في بطن أمه

ها هي تتحسس بطنها برفق وحنان، تنظر إليها وكلها شوق لهذا المولود الساكن داخلها، يحدوها الأمل لخروجه إلىٰ الدنيا سليما معافًىٰ.. إنها في غاية الحرص علىٰ هذا الوليد الذي لم تره عيناها بعد، وتتمنىٰ لو تفديه بنفسها، ألمْ تتحمل وَهْن حمله شهورا؟ ألم يحرمها بعض ما تحب من المطعم والمشرب والملبس؟ ألم يضيق عليها في ممارسة بعض هواياتها؟ ألم تتنازل طواعية عن بعض ما لها حتىٰ لا تُسبب له أدنىٰ أذىٰ؟!

هذا وهو لا زال جنينا في بطنها، فماذا لو رأته وهو ينظر إليها وتلاقت أعينهما ومسّ جلده جلدها، والتصق بها ونام علىٰ صدرها، وشاركها طعامها ووقتها وحياتها؟! لا شك أنه شعور رائع تتمناه كل امرأة وتحب تذوُّقه، ولا تملّ الشعور به مع تكراره.

هكذا هي الأمومة الصادقة، تبدأ قبل الحمل تعلّما وفقها

واستعدادا لمسؤوليتها العظيمة، وتبدأ عمليا منذ لحظة الحمل الأولىٰ، حين تكون بطن الأم لهذا الطفل وعاء، وحجرها له مهادا، وجسدها له غطاء، وطعامها له غذاء.

إنهما شريكان في رحلة الحياة التي جمعت بين جسديهما، المشاعر فيها واحدة، والأفراح والأحزان مشتركة، وهي قسمة بينهما، فآلامها تؤلمه، وألمه داخل الرحم يؤلمها، كما أن راحتها تريحه، وتعبها يقلقه ويتعبه. إنها معجزة الخَلق تعيشها الأم حقا، ويراها الأب يقينا وصدقا، ويتأثر بها الجنين إيجابا وسلبا.

جسدان وروحان في قالب واحد، ويظل متعلقا بها ما شاء الله له، يسير معها أينما سارت، ويجالسها وتجالسه تسعة أشهر تقل أو تزيد، حتىٰ تحين لحظة الانفصال الجسدي عنها بمعجزة الولادة، ويعاني كلاهما، الأمّ والطفل، آلام هذا الانفصال الجسدي المعجَز، وتتحمل الأم وهي تقاسي أكبر الألم، ومع ذلك قد ترفض دواء مخدرا مظرق إيذائه، ولسان حالها يقول فلتؤذَ هي بعض الوقت، المهم ألا يمسه هو سوء ولا يناله مكروه.

قبل الميلاد..

وكما سخر الله لهذا الجنين قلب أمه وأبيه حفظ له حقه حفظا

عجيبا ورائعا لا نظير له في أي دين أو عُرف أو قانون، وجعله حقا مؤكدا له وهو لم يزل في عالم الغيب جنينا في بطن أمه، ولا عجب في ذلك فالإسلام هو الدين الخاتم الصالح لكل زمان ومكان، الوسط العدل الذي يسع الناس جميعا بعدله ورحمته.

ومن حقوق الطفل قبل الميلاد:

اختيار الأم الصالحة والأب الصالح والأسرة الصالحة له:

قال النبي ﷺ: «**تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء و أنكحوا إليهم**»(١). حيث سيتولد عن هذه الأسرة لهذا المولود القادم أب وأمّ وأخوال وخالات وأعمام وعمات وجدود وجدات، وأقارب وأرحام، وكل من هؤلاء له أثره وتأثيره في نشأة هذا الطفل، ولا سيما الوالدين، فلا أحد ينكر أثرهما علىٰ خلقه ودينه وتربيته وأدبه، وقد قال النبي ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه..**» (٢). لذا فقد حث النبي ﷺ علىٰ اختيار الزوجة الصالحة التي يعينها صلاحها علىٰ أن تكون أمّا صالحة للولد، فقال: «**تُنكَح المرأة لأربعٍ: لمالِها ولحسَبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدِّين تَرِبَتْ يداك**»(٣).

(١) صححه الألباني- صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

وقال: «**الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة** »[١]. كما حث علىٰ اختيار الزوج الصالح لبناتنا فقال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوهُ»[٢]. فالدين والخلق يأخذ بيده إلىٰ الأدب الحسن وحسن التربية والرفق فيها، كما يأخذ بيد الزوجة.

الدعاء من الزوجين له:

وقد لفت النبي ﷺ نظر الزوجين منذ اللحظة الأولىٰ للمعاشرة الزوجية إلىٰ حفظ الولد وهو لا زال نطفة وماء دافقا في طريقه لقراره المكين في رحم أمه، فقال للزوج مذكّرا: «**أما إن أحدكم إذا أتىٰ أهله، وقال: بسم الله، اللهم جنِّبنا الشيطان وجَنّب الشيطان ما رزقتنا فرُزِقا ولدا لم يضره الشيطان**»[٣].

وندب إليهما استحباب طلب المولود كثمرة من ثمرات هذا القرب الفطري، قال تعالىٰ: ﴿فَٱلۡـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾[٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه البخاري.

(٤) سورة البقرة، الآية: 187.

نفس مكرمة لها حرمتها:

إنها نفس مكرمة، ولو كانت جنينا يسبح في ظلمات الرحم، فحين جاءتِ المرأة الغامديةُ النبي ﷺ وقالت: إني قد زنيتُ فطهرني، وكانت حبلىٰ، قال لها: «**فاذهبي حتىٰ تلدي**»(١).

وقد حرص الشرع علىٰ حماية الجنين ومنع إجهاضه في مختلف مراحله إلا لمبرر شرعي وفي حدود ضيقة جدا ، يقر ر ذلك الطب والشرع معا ، فلا يجوز إسقاطه لأجل أنه أنثىٰ، أو نكاية في أحد الزوجين لخلاف حاصل بينهما، ولا بسبب الفقر أو كثرة العيال، ولا خوفا من المستقبل كما يدّعي البعض.. والله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾(٢)، ويقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾(٣) والإملاق الفقر، فكفل الله للأولاد ولآبائهم الرزق في الحاضر والمستقبل، وهذه الآيات دلالة علىٰ أن الله تعالىٰ أرحم بعباده من الوالد بولده.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة الأنعام، الآية: 151.

(٣) سورة الإسراء، الآية: 31.

المحافظة على سلامته أثناء الحمل به:

ومن حق الجنين علىٰ أبويه اتخاذ كافة السبل الوقائية لحمايته من الأذىٰ، فلا تتعرض الأم الحامل لتعاطي الأدوية التي تضره أو الأعمال الثقيلة التي تؤذيه، ولا يفرض عليها العمل لإعالة نفسها وأطفالها فتضعف ويضعف معها جنينها، والنفقة إنما هي واجبة علىٰ زوجها أو ولي أمرها، ولو كانت مطلقة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [١] لأن الغذاء لا يصل إليه إلا بسببها.

وليس لها أن تمارس الرياضات العنيفة التي تضره، أو النظام الغذائي القاسي -الريجيم- الذي يضعفه، أو تعاطي التدخين والمواد المخدرة وما شابهه، والقاعدة الشرعية في ذلك «لا ضرر ولا ضرار»[٢]، ولذلك أبيح لها الفطر في رمضان.

كذلك توفير الجو الهادئ والإيماني حيث ثبت علميا أن الجنين يسمع ويتأثر بالأصوات وهو في بطن أمه، ويتعرف علىٰ صوتها بعد ولادته ويأنس إليه. وينبغي الاهتمام بالكشف الدوري

---

(١) سورة الطلاق، الآية:6.

(٢) الألباني- صحيح الجامع.

علىٰ الأم في شهور الحمل للاطمئنان علىٰ حالته، واتخاذ التدابير الواقية لحمايته، والحفاظ علىٰ صحتها وحالتها النفسية، واختيار الطبيبة المتخصصة عند الولادة، حتىٰ يخرج سليما معافىٰ بإذن الله.

ومن أجل صحة أفضل للجنين وأمه وأخذًا بأسباب سلامة الطفل يقول الدكتور أحمد عيسىٰ: أن علىٰ الأم أن تحرص علىٰ العلاج من أي مرض يصيبها قبل أو أثناء الحمل بما يقرره لها الطبيب المختص حتىٰ تلد مولودا سليما بإذن الله، ويفضل أن يكون الحمل قبل سن الأربعين، وألا يتكرر الحمل ولا زال لديها طفل رضيع، فالله تعالىٰ يقول: ﴿وفصاله في عامين ﴾[1] والحمل السريع دون هذه الفترة الزمنية قد يؤثر علىٰ صحة الجنين نظرا لتعب الأم والمشقة الحاصلة عليها، وأيضا يؤثر علىٰ أخيه أو أخته من قبله ويحرم ه من الرضاعة الطبيعية ومن حضن أمه الحامل. وأكد علىٰ أهمية تناول الأم الحامل الغذاء الصحي المتوازن لضمان سلامتها وسلامة طفلها القادم، وأن تتجنب السفر الطويل في أسابيع الحمل الأخيرة خاصة بالطائرة خشية أن

(١) رواه مسلم.

تلد مبكرا فيها فيتعرض الطفل لأخطار صحية خطيرة، كذلك لا تسافر إلىٰ الأماكن التي بها أوبئة مرضية أو ازدحام شديد، أو حروب وعدم استقرار. كل هذا للأخذ بأسباب القوة والصحة والسلامة، و «المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف»(١) كما قال النبي ﷺ.

حق الجنين في الميراث:

ومن أعظم الحقوق لهذا الطفل حماية ماله من قبل أن يولد، أي وهو لا زال جنينا في بطن أمه ، (فإنه يرث ولا يوزع الميراث إلىٰ بعد ولادته، لكن إن طلب الورثة القسمة فيتم التقسيم قبل الولادة ويوقف للحمل الأكثر من إرث ذكرين أو أنثيين ثم ينتظر إن ولد ميتا فلا يرث، وإن استهل صارخا أخذ نصيبه ورد الباقي علىٰ الورثة) (٢).

حق الجنين إذا مات:

وإذا قدر الله لهذا الجنين انتهاء أجله فمات ، فإنه يغسل ويصلىٰ عليه ويدفن، قال النبي ﷺ: «**والسقط يصلىٰ عليه ويدعىٰ**

(١) رواه مسلم.

(٢) شرح كتاب الفرائض- الميراث- من زاد المستقنع. للشيخ حمد الحمد خطوة.

لوالديه بالمغفرة والرحمة»[1] ، وقال الإمام أحمد رحمه الله: إذا أتىٰ له أربعة أشهر غُسّل وصلي عليه.

فسبحان الله.. الرحمن الرحيم.. خلق هذا الجنين وصوره في الأرحام وكفل له رزقه داخل بطن أمه، وحفظ له ماله قبل أن يخرج إلىٰ الدنيا، وهو لم يرَ المال ولم يتعرف عليه بعد.. وكرمه حيا وميتا، فسبحان الله أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صححه الألباني- صحيح أبي داود.

وجاء المولود

5

وجاء المولود

ها هو أخيرا بعد طول عناء قد أطل بوجهه البريء، وصاح بصوته المحبب واستهل صارخا، وتعالىٰ صراخه يحمل بين نبراته المتقطعة حروف الحياة، ويكتب بمداد الحياة قصة هذه المعجزة الباهرة حين انفصل جسدا وروحا عن والدته، لقد كادت روحها تنفلت منها لولا رحمة الله، وتالله إنها لنعمة لو ظلت الأم تشكر الله عليها ليل نهار ما وفّت.. إنها نعمة الخلاص لكليهما.. الأم والطفل.. يا لها من آية لو تبصرناها بصدق ويقين! ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ (١).

ويأتي المولود المنتظر، والفرع الجديد في العائلة ، فيجري الأب فرحا مسرورا بسلامته وسلامة الوالدة، وقد جهز له حاجاته، ويسجد لله شكرا، وكله شوق وحنين وحب وشفقة لهذا الصغير الذي لم تتفتح عيناه عليه بعد، ولم يعرفه أو يحادثه،

(١) سورة الذاريات، الآية:21.

ويلقي الله تعالىٰ في قلب أمه وأبيه أملا طويلا في ذلك الوقت فيمنّي كل منهما نفسه أن يعيش سنين عددا حتىٰ يرىٰ ولده وقد كبر وصار زوجا ثم أبا، وتتوالىٰ الأمنيات وترِد الخواطر سريعة متلاحقة وكأنهما لم يُخلقا إلا من أجل هذا الصغير.

كل ذلك والمولود في هذا الوقت لا يعي شيئا ولا يدرك ولا يتكلم ولا يميز، إنه طفل رضيع صغير ضعيف يقلبونه بين أيديهم لا حول له ولا قوة، فسبحان من سخر له القلوب وقذف فيها حبه، ومنحها عمرا وأملا حتىٰ تقوم معه بواجب الرعاية والتربية والأدب الحسن.

فماذا يُنتظر من هذين الوالدين بعد ذلك، أرأيتم هذه الأم بعد كل هذا طارحة ولدها في النار؟! أم رأيتم ذلك الأب تاركا ولده لغيره يربيه عنه أو يتلاعب به ويؤذيه أو ينتزعه من بين أحضانه؟ّ!

الميلاد.. وميلاد الحقوق:

ويولد المولود وتولد معه بقية الحقوق المتعلقة به، التي تزيد علىٰ كونه جنينا في بطن أمه، لقد صار الآن له حقوق أكثر، وأصبحت نفسه أشد حرمة، وأخذ مكانا وموضعا من سُكنىٰ هذه الحياة الدنيا وصار فردا من أفرادها، وتبعا لذلك فإن له حق

الاستقبال الحسن بما يليق به كنفس بشرية مكرمة، ذكرا كان أم أنثىٰ، وليس للوالدين أحدهما أو كلاهما أن يكره الأنثىٰ، فإن هذا كان من أخلاق الجاهلية، وقد نهىٰ الله تعالىٰ عنه وذمه، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (١). قال قتادة: «**وهذا صنيع مشركي العرب، أخبرهم الله تعالىٰ ذكره بخبث صنيعهم فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضىٰ بما قسم الله له، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه، ولعمري ما يدري أنه خير، لرب جارية خير لأهلها من غلام**» (٢).

ثم ألا يستبشر الوالدان بولادة الأنثىٰ بعد أن قال النبي ﷺ فيها: «**من كانت له بنت فأدبها فأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها وأسبغ عليها من نعم الله التي أسبغ عليه كانت له سترا أو حجابا من النار**»(٣).

(١) سورة النحل، الآية: 58-59.

(٢) تفسير الطبري.

(٣) خرجه أبو نعيم.

فالولد والأنثىٰ كلاهما هدية من الله وليس من الإيمان أو من الذوق أو الأدب أن نرفض اختيار الله لنا أو أن نقبل الهدية كارهين ودون شكر منا.

المولود.. وكلمة التوحيد:

ومع ميلاد المولود إلىٰ الدنيا بصخبها وضجيجها وضوضائها فإنه يجدر بنا أن ننبه سمعه إلىٰ حكمة الخلق والغاية منه، وأن نلقنه كلمة التوحيد سماعا في أذنيه لنذكره بفطرة الله التي فطره عليها، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا «**أن النبي ﷺ أذَّن في أذن الحسن بن عليّ يوم وُلِد فأذّن في أذنه اليمنىٰ وأقام في أذنه اليُسرَىٰ**»[1].

المولود.. والتحنيك:

ويأتي التوجيه النبوي المعجز الدال علىٰ كمال النبوة وصدقها، نراه في تحنيك المولود، فعن أبي موسىٰ الأشعري قال: «**ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ، فسماه إبراهيم و حنكه بتمرة** »[2]. وفي صحيح البخاري عن أسماء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا «**أنها ولدت عبد الله بن الزبير فأتت به النبي**

---

(١) أخرجه البيهقي – شعب الإيمان.

(٢) رواه مسلم.

ﷺ **فوضعته في حجره فحنكه بتمرة، ثم دعا له وبرَّك عليه**

(ثم بمجيء العلم الحديث باكتشافاته تبين شيء جديد من الإعجاز العلمي الذي تحمله هذه السنة النبوية، إذ تبين أن الطفل يحتاج إلىٰ سكر الجلوكوز، وقد يتعرض بسبب نقصه لآفات كبيرة، وأن التمر خير مصدر لهذا) [1].

المولود.. والاسم الحسن:

والاسم الحسن حق ثابت لكل مولود، لأنه سيلتصق به ولا يفارقه في الدنيا وسينادىٰ به في الآخرة، والاسم الحسن يذكّر حامله بما فيه من معاني وصفات جميلة، وقد يؤثر فيه، وكان النبي ﷺ يعجبه الاسم الحسن ويدعو إليه، فيقول: «**أحب الأسماء إلىٰ الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدق الأسماء حارث وهمام، وأقبحها حرب و مُرّة**»[2]. وكان يغير بعض الأسماء كما روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ غير اسم عاصية، وقال«**أنتِ جميلة**»[3].

واسم الطفل هوية له وتميز، كما أنه تذكرة للاقتداء، وهو من

---

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب.

(٢) صححه ابن تيمية -مجموع الفتاوىٰ.

(٣) رواه مسلم.

أهم الحقوق الخاصة به، لكننا للأسف ابتلينا في هذه الأيام بالموضة التي طالتنا في أسماء أولادنا، خاصة الإناث، فنسمي بناتنا بأسماء غريبة عنا، وإذا ما حاولنا فهمها قيل معناها باليونانية كذا، وبالفارسية كذا، وباللاتينية كذا وبـ....كذا وكذا! فأين نحن من لغتنا العربية الجميلة ، وأين مكان أسماء أمهاتنا رضي الله عنه ن وأسماء الصحابيات، وأين نحن من الأسماء الأخرىٰ ذوات المعاني والصفات الطيبة.

وفي ظني أن الاسم له أثر علىٰ المسمَّىٰ به، وقد روي عن سعيد بن المسيب أن جده حزنا قدم علىٰ النبي ﷺ فقال: «ما اسمُك »؟ قال: اسمي حَزْن، قال: «**بل أنت سهل**». قال: ما أنا بمُغَير اسمًا سمانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت فينا الحزونة بعد[1].

وأظن أيضا أن الاسم الحسن خطوة أولىٰ من خطوات التربية للطفل، ندعوه من خلاله إلىٰ التخلق بمعناه ومضمونه، و لا شك أن الوالدين سيُسألان عن تسمية الولد، يوم القيامة.

المولود.. والعقيقة عنه:

والمولود نعمة من الله تعالىٰ لا يعرف قدرهاحق المعرفة إلا من

(١) رواه البخاري.

حُرِمها، وفي هذه الأيام بعد أن تقدم العلم صار التلقيح الصناعي (**أطفال الأنابيب**) وسيلة للإنجاب عند الحاجة إليه مع العجز، وقد ينجح من أول مرة وقد يتأخر ويحتاج لتكرار التجربة، لكنه مكلف جدا ولذلك لا يستطيع كل زوجين القيام به، ومن جرّب عرف قيمة وحجم النعمة العظيمة في هبة الله البنين والبنات، فلا أقل من شكر المنعم وإظهار الفرحة وإطعام الطعام مع ورودها.

وقد حث النبي ﷺ علىٰ العقيقة وقال: «**مع الغلام عقيقة فأَهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذىٰ**»[1] . وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها «**أن رسول الله ﷺ أمرهم عن الغلام شاتان مكافئتان، وعن الجارية شاة**»[2] . وهذا والله أعلم من بركة البنت أنها أقل مؤونة.

وفي العقيقة: (شكر لله تعالىٰ إظهار للفرحة وتحدث بنعمة الله عز وجل وعمل بالسنة، وكل ذلك يرجىٰ معه صلاح الولد، وقد قال النبي ﷺ: «**الغلام مرتهن بعقيقته يذبح عنه يوم السابعِ، ويسمَّىٰ، ويحلق رأسه**»[3] قيل معناه : أن العقيقة سبب لتخليص

---

(١) صححه الألباني- صحيح الترمذي.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه الترمذي.

الولد من الشيطان وحمايته منه)[١] .

المولود.. والصدقة:

ومن يُمْن هذا المولود أن جعله الله سببا في إطعام المساكين، وقد قال ﷺ لفاطمة لما ولدت الحسن «**احلقي رأسه وتصدقي بوزن شعره فضة علىٰ المساكين**»[٢] .

وبميلاده تحل البهجة والخير علىٰ الجميع، ويمتلئ بيت الوالدين نشاطا وحركة وضوضاء محببة، ويزداد تعداد مَن يعمرون أرض الله فردا جديدا هو الآن فرع من فروع شجرة العائلة، لكنه غدا بفضل الله سيصير شجرة كبيرة مثمرة لها جذور وفروع وأوراق وثمار.

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب.

(٢) حسنه الألباني -إرواء الغليل.

الرَّضِيع

6

الرَّضِيـع

احتضنته بكل حنان وحب، وضمته بكل شفقة وعطف، إنه يأخذ منها وهي سعيدة، ويتعلق بها وهي مبتسمة، ويقلق نومها وهي راضية.. تالله إنها لعلاقة عجيبة تلك التي تربط الأم برضيعها الصغير، فتأكل ليطعم، وتشرب ليرتوي، وترتاح ليأتيه رزقه، وتلصقه ببطنها وصدرها لترضعه فتتعانق الأحاسيس وتتداخل المشاعر بطريقة لا توصف، ولا يشعر بها إلا من ذاقها.

أليس في ذلك رحمة من الله تعالىٰ بهذا الوليد الضعيف، إذ أعطىٰ الأم هذه الشفقة وملأ قلبها بالرحمة حتىٰ أنها تفديه بنفسها وتهبه وقتها وحياتها.

دعوة:

ومع إيقاعات الحياة السريعة هذه الأيام، وانشغال الأم وخروج المرأة للعمل وعدم تفرغها الكامل لرعاية صغيرها، أثر ذلك سلبا علىٰ إرضاع المولود الرضاعة الطبيعية ليحل مكانها

قنينة جامدة من البلاستيك، لا روح فيها ولا إحساس، تُملأ بلبن من ألبان الحيوان، تلك القنينة لا تحمل مع لبنها حنان الأم ولا نبضات قلبها الرقيق، إذ تُلقم فاهَ الرضيع وهو جالس علىٰ الأرض أو نائم فوق السرير، يتناولها بيد أمه أو أبيه، أو أخته أو أخيه، وإلا أخذها هو بيديه وبين رجليه فيرضع ما فيها بلا رابطة التلاصق الوثيق بينه وبين صدر أمه، وكأنه صار له نصيب هو الآخر من الوجبات السريعة بهذه الرضاعة التي تشبهها إلىٰ حدّ ما، ولم يعد الطفل يسمع دقات قلب أمه تعانق دقات قلبه الضعيف فتقويه وتطمئنه ويرىٰ فيها عطفها وحبها، وليس له كلما رضع أن ينام متدللا علىٰ صدرها يرضع تارة ويلعب أخرىٰ، يداعب أنفها بيديه، أو تتلاقىٰ عيناه مع عينيها ويحاول إمساك لسانها والعبث بشفتيها! أليس لهذا الرضيع حق مشروع في كل تلك المشاعر والأحاسيس التي لا تتولد إلا في لحظات الرضاعة الطبيعية من ثدي أمه؟!

المولود.. والرضاعة الطبيعية:

لقد أجّل النبي الرحيم ﷺ حدّا من حدود الله وأخّره حفاظا علىٰ حقّ مولود ضعيف في الرضاعة الطبيعية، وقال لأمه: «**اذهبي**

فأرضعيه حتىٰ تفطميه »[1] ، وكان بإمكانه أن يدفعه لأي امرأة أخرىٰ ترضعه، أو يتركه ليرضع أي لبن.

ومع عدم الاهتمام بالرضاعة الطبيعية صار الأطفال أكثر ميولا للعدوانية، وأكثر استعدادا للانطوائية والعزلة، وأبعد عن الأم والتعلق بها، حتىٰ أن بعض الأطفال ربما ظن أن الخادمة أو أخته الكبرىٰ هي أمّه، فاستلقىٰ في أحضانها طلبا للإشباع العاطفي الذي يفتقده، وبكىٰ عند فقدها، وله العذر فإنه يقضي معها معظم يومه ونومه.

ألا وإن من حق المولود علىٰ أمه أن ترضعه وتطعمه رزق الله المؤتمنة عليه، والذي لا يصله إلا بسببها، وقد ذكر الله ذلك في كتابه الكريم فقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ .. ﴾ [2]. قال ابن كثير في تفسيره: هذا إرشاد من الله تعالىٰ للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة وهي سنتان. وقال الضحاك : إذا طلق زوجته وله منها ولد فأرضعت له ولده وجب علىٰ الوالد

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة البقرة، الآية: 233.

نفقتها وكسوتها بالمعروف. وقال قتادة: كان الرضاع واجبا في الحولين وكان يحرم الفطام قبله، ثم خفف وأبيح الرضاع أقل من الحولين بقوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ [1] الآية.

الرضاعة الطبيعية.. والمصلحة المتبادلة:

ذكرت الرضاعة في القرآن، وذكِر الفطام، وجعل الله الحمل والرضاعة من موجبات البر على الأبناء، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [2] وقال: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ [3].

والرضاعة الطبيعية سهلة التحضير قريبة المنال لا تحتاج لشراء ولا لتعقيم ولا لتدفئة أو تبريد، ولا يطالها التلوث أو الحشرات، ويرضع الطفل حتى يشبع ويرتوي، فرزقه مخبوء وهو من صنع الله عز وجل العليم بحاجته ، كما أن فيها المصلحة المتبادلة بين الرضيع وأمه.

«أما بالنسبة إلى الأطفال، فإنها تعود عليهم بفوائد جمّة، منها: ارتفاع معدّل الذكاء، وبناء عظام أفضل وهيكل عظمي أقوى،

(١) سورة البقرة، الآية: 233.

(٢) سورة لقمان، الآية 14.

(٣) سورة الأحقاف، الآية:15.

والحماية من السمنة، والوقاية من أخطار الربو وسواه من مشاكل الجهاز التنفسي، والمناعة ضد عدد كبير من الأمراض، وهو أمر أكده الأطباء دوما. أما بالنسبة للأم، فإنها تعطيها إحساساً عميقاً بالراحة والهدوء نظرا لارتفاع نسبة هرمون الـ"Oxytocin" الذي يساهم في إنتاج الحليب، وتساعد في تقليص الرحم وعودته إلىٰ ما كان عليه قبل الحمل، كما أنها تشارك في تخفيض خطر الإصابة بالاكتئاب الذي غالباً ما يلي عملية الوضع أو بالنزف الغزير في الرحم الذي يصيب بعض النساء في مرحلة ما بعد الولادة. أما أبرز الفوائد التي تظهر علىٰ المدىٰ البعيد فهي، ضبط مستوىٰ السكر في الدم ورفع مستوىٰ الكولسترول الجيد فتحد من خطر الإصابة بأمراض القلب. كما أن عملية الإرضاع، ولو لأشهر قليلة فقط، تساهم في تقليص خطر الإصابة بسرطان الثدي وسرطان الرحم، كما أنها تقوّي العظام وتحميها من الترقق»[(١)].

فهم خاطىٰء.. ودور منقوص..

إن بعض الأمهات لا تستطيع إرضاع طفلها وذلك لأسباب مانعة لا حيلة لها فيها كالمرض أو قلة اللبن عندها، فهذه تعذر وعليها الأخذ بأسباب العلاج حتىٰ يزول السبب، لكن بعضهن

---

(١) عن جريدة الخليج الإماراتية بتصرف – موقع مقالات إسلام ويب.

تظن أن الرضاعة الطبيعية عقبة في طريق المحافظة علىٰ جمالها ورشاقتها وصحتها، وأنها لا تليق بمكانتها وحسبها، أ و أنها تقف أمام حرية حركتها وتعلقها بالطفل فلا تستطيع عنه فكاكا، وقد تحرمها من العمل خارج بيتها نظرا للزوم تواجدها مع طفلها الرضيع. ولو أنصفت هذه الأم لأيقنت أن مهمتها الأساسية الأولىٰ في المجتمع هي أن تكون أمّا صالحة، تبني أجساد أفراده وتغذي أرواحهم، ليكونوا عبادا لله وعمارا للأرض، فمهمتها أعظم مهمة وهي الأوْلىٰ بالرعاية والاهتمام، وما بعد ذلك هو من نافلة الأعمال بالنسبة لها، ومن فروض الكفايات بالنسبة لمجتمعها، فلم يفرض الله نفقة عليها لولدها ولا لنفسها، وحين تفتقد الوليّ المنفق فإن علىٰ المجتمع أن يكفل لها ذلك ويوفر لها ولولدها الرعاية الكاملة حتىٰ تستطيع أن تقوم بمهمة البناء والتربية التي هي أشق وأصعب مهمة.

إننا نريد عودة حميدة إلىٰ الفهم الصحيح لدور كل من الرجل والمرأة، كما نريد أن تيسر مجتمعاتنا للمرأة الأم ما يعينها علىٰ حسن التربية من رعاية صحية ونفسية واجتماعية ومالية وتعليمية وتوعوية، وأن توفر لها من الأعمال ما يناسبها كأمّ حتىٰ لا تغيب

طويلا عن طفلها، وإذا ما تحتم عليها العمل أوجدت لها محاضن تربوية مأمونة وصالحة للطفل.

ولو أنصفت وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة، ولا سيما المرئية منها، لشاركت جميعها في الإعلاء من شأن هذا الدور الحقيقي للمرأة ولروجت له في مسلسلاتها وبرامجها وصحفها وجرائدها، ولساهمت جميعها وتكاتفت في إرساء قواعد التربية الصالحة وبيان أسسها ومقوماتها، ولقدّمت لنا نماذج فريدة من الأمهات الرائعات علىٰ مرّ العصور قديما وحديثا.

حقوق متعددة للرضيع:

إن واجب الأدب الحسن علىٰ الوالدين يستمر في سيره مع الطفل جنينا ثم مولودا فرضيعا، ويكبر معه كلما كبر، ومن ثم وجب علينا أن نعينهما ولا سيما الأم علىٰ القيام بذلك.

ومن حق الرضيع علىٰ والديه: السهر علىٰ راحته والاهتمام بنظافته وصحته، والصبر علىٰ ذلك، قدوتنا في ذلك النبي ﷺ، فعن أم قيس بنت محصن «أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلىٰ رسول الله ﷺ فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره فبال علىٰ ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله»[1].

(١) رواه البخاري.

رعايته وحفظه: وقد ثبت في الصحيحين عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ وهي لأبي العاص بن الربيع فإذا قام حملها وإذا سجد وضعها. وعند مسلم: حملها علي عنقه.

فأين هذا مما يحصل من بعض الأمهات - وقد رأيت ذلك - حين تصر علىٰ الصلاة في المسجد مما لم يفرض عليها، كصلاة الجمعة والتراويح وتدع ولدها يبكي بكاء يقطع نياط القلوب وهي في صلاتها، فتؤذيه وتضيع حقه الواجب، وتؤذي معه المصلين، ألا فلتنتبه كل أم.

تعويذه بالله من الشيطان الرجيم:

فقد دعت أم مريم لها ولذريتها وقالت: «**وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**» فاستجاب الله لها. وكان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين، ويقول: «**إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**» (١).

---

(١) رواه البخاري.

أدَبُ الطفل

7

أدَبُ الطفل

أطفالنا.. أحبابنا، هم ثمر قلوبنا، وغراس حياتنا، وزينة دنيانا ، وزادنا بعد مماتنا، إن عاشوا بعدنا نلنا دعاءهم ونفعنا استغفارهم، وإن ابتلينا بفقدهم كانوا لنا شفعاء وأخذوا بأيدينا إلىٰ الجنة.

ويا لصيحاتهم المحببة التي تعشقها النفوس وتتوق لسماعها، ضجيج وصخب وضوضاء، صراخ وضحك وبكاء، مرح ولعب، شجار وخصام، قفز وجَرْيٌ هنا وهناك، لا يهدأ لهم بال ولا ينالهم التعب، فذلك عندهم أحلىٰ من الطعام وألذ من المنام، ويا لها من أيام سرعان ما تنقضي بهم ليجد الطفل نفسه بعد حين وجها إلىٰ وجه مع تلك الأحداث وقد مضت حين يصير أبا لأولاده كأبيه.

إن هذا الجو الصاخب بالحياة قد يجرّ الوالدين أحيانا إلىٰ الملل والسآمة والضيق من تلك الضوضاء، أو يدفعهما إلىٰ الغلظة وعدم الرأفة، أو القسوة في التوجيه، أو التقصير في التربية

والتهرب من المسئولية، لكن سرعان ما يفيء كل منهما ويعرف لهذه النعمة قدرها فيرىٰ في ذلك حياة دارهم ونور دنياهم، فبيْت بلا أطفال كبحر بدون لآلئ، وبيت بلا أطفال كبستان بلا ثمار، وأقلام بلا مداد، وحياة من غير حب، فهم المصابيح المنيرة والنجوم الزواهر.

تربية الولد نعمة..

إن الولد نعمة من الله تعالىٰ أنعم بها علىٰ الوالدين، وإن التربية الصالحة والأدب الحسن نعمة كذلك أنعم الله بها علىٰ الولد وجعل الوالدين سببا فيها، وجعلها تستحق شكره لهما وبره الدائم الذي لا ينقطع عنه ما دام حيًّا، ومن هنا وجب علىٰ الوالدين أن يعرف كل منهما دوره تجاه هذا الطفل، وأن يقوما معا بواجب التربية والأدب الحسن الذي كلفا به من الله عز وجل، حتىٰ يقوم الولد بشكرهما علىٰ نعمة تربيته ورعايته، شكرا مقترنا بالبر والدعاء والرحمة، والحب والعطاء والخدمة.

آداب.. وواجبات..

وتتعدد حقوق الولد طفلا وتزيد كلما كبر وشب، ولكل مرحلة من عمره ما يميزها عن غيرها، ولكل منها واجبات علىٰ الوالدين نحو الأدب الحسن لهذا الطفل، ومن ذلك:

ترديد كلمة التوحيد علىٰ مسامعه حتىٰ ينطلق بها لسانه، ومن ثم تعليمه دلالتها ومعناها وذلك بالأسلوب الذي يتناسب مع عمر الطفل.

المداعبة والملاعبة: تارة بالحضن الدافئ وتارة بالقبلة الحانية، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قبّل الحسن والحسين فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال «**من لا يرحم لا يرحم** ». وإن بعض الأعراب استنكروا علي رسول الله ﷺ تقبيل الأبناء فقال لهم «**أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة** »[1]. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كان رسول الله ليدلَع لسانه للحسن بن علي، فيرىٰ الصبي حمرة لسانه، فيهش إليه**»[2].

وعنه: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء، فإذا سجد وثب الحسن والحسين علىٰ ظهره، وإذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذا رفيقا، فوضعهما وضعا رفيقا، فإذا عاد؛ عادا، فلما صلىٰ وضعهما علىٰ فخذيه واحدا ههنا، وواحدا ههنا...» [3].

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) حسنه الألباني –السلسلة الصحيحة.

(٣) الألباني– السلسلة الصحيحة.

تعويده علىٰ النوم في سريره في عمر مناسب ولا نتركه حتىٰ يكبر فيصعب عليه ذلك.

الاهتمام بقصة ما قبل النوم فهي طريق التربية وباب المعرفة وسبيل التواصل علىٰ أن تكون في سريره وبين حضن أمه أو أبيه.

مشاركة الطفل في لعبه: بل والتعرف علىٰ اللعبة المفضلة لديه وإجادة تعلمها من أجله، وهذا يتطلب صبرا كبيرا من الوالدين، وألا يتعللا بالمشاغل وضيق الوقت، فالمشاركة جزء من العملية التربوية، وهي تأتي بالحب وتزيل الحواجز وتقرب الطفل منهما .

مشاركة الطفل في مشاهدة برامج الأطفال والأفلام الكارتونية الخاصة به، وانتقا ؤها بدقة، والحذر من تركه طيلة وقته أمام الشاشة الساحرة، وتصحيح أي سلوك مرفوض إن وجد، وهذا ليس نافلة بالنسبة للوالدين بل هو واجب عليهما.

معاملة الولد حسب ما يقتضيه عمره فلا يعامل مثلا ابن الخمس سنوات كابن العشر، بل كل مرحلة يقطعها الطفل يكبر بها وتكبر معه أساليب التربية وتتغير طبقا لعمره وعقله وفهمه، وهذا الأمر غاية في الأهمية وقد يغفل عنه الوالدان، فيُعامَل الطفل كما يعامل الرجل الكبير ويُحرَم من طفولته البريئة إذ يظنه والداه

رجلا! وقد مرّ عمر بن الخطاب علىٰ امرأة وهي توقِظ ابنها لصلاة الصبح، فهو يأبىٰ، فقال دعيه، لا تعنتيه، فإنها ليست عليه حتىٰ يعقلها. وليس معنىٰ ذلك أن نهمل تعويده علىٰ الصلاة في مواعيدها، بل القصد الرفق به وعدم تعريضه للعنت والمشقة.

وكذلك قد تُعامَل الابنة الطفلة كما لو كانت فتاة كبيرة، فيشدد عليها في الاختلاط بالرجال، ويفرض عليها ارتداء الحجاب وأحيانا النقاب وهي لم تتعد الخامسة أو السابعة من العمر ودون سن البلوغ، ظنا أن هذا هو الطريق لتتعود عليه، أو يُضَيَّق عليها في اللعب مع صويحباتها مظنة أنها كبرت، لكن السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: «**كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيسربهن إليّ فيلعبن معي**»[1]. وتقول: «**واللهِ! لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يقوم علىٰ باب حجرتي، والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ، يسترني بردائه لكىٰ أنظر إلىٰ لعبهم، ثم يقوم من أجلىٰ حتىٰ أكون أنا التي أنصرف. فاقدروا قدر الجارية الحديثة السنّ، حريصة علىٰ اللهو**»[2].

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

تربية الطفل علىٰ حب الله عز وجل، والتودد إليه، وتعزيز ذلك في نفسه من خلال بيان نعم الله عليه بطريقة مبسطة، واتباع أسلوب الترغيب والثواب.

تربية الطفل علىٰ مراقبة الله تعالىٰ وزرع الإحساس الدائم في نفسه أن الله تعالىٰ يحبه وأنه يراه ويسمعه أينما كان، وسيكافئه بكل جميل إذا كان طفلا صالحا مطيعا، وهذا لا شك سيؤثر إيجابا في سلوكه.

مساعدته في اختيار أصدقاء له في مثل عمره وانتقاؤهم من أسر طيبة، وتيسير الجو النظيف لهم معا للجلوس واللعب وأحيانا الزيارة المتبادلة، وذلك يعود الطفل علىٰ العلاقات الاجتماعية ويجنبه العزلة والأنانية.

حث الطفل علىٰ الابتكار وتشجيعه علىٰ القراءة والكتابة متىٰ استطاع، ومكافأته وتقدير موهبته ومعرفة قدراته ، وعدم مقارنته بأخيه أو أخته إلا إذا كان تشجيعا له وتنافسا لا توبيخا واحتقارا.

تعويد الطفل علىٰ العمل الجماعي في أسرته ومع ضيوفه وأصحابه، والعدل بينه وبين إخوته. وقد قال النبي ﷺ: «**اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أبنائكم**»[1].

(١) صححه الألباني- صحيح أبي داود.

تعليمه الصلاة «**مروا أبناءكم بالصلاة لسبع** ..»[1]. و**تعليمه القرآن الكريم** ومكافأته علىٰ تعلمه وتشجيعه بالهدية، والحذر من استخدام الضرب وسيلة لتعلمه.

مراعاة مشاعره ومعاملته باحترام ورفق ، ولا ينبغي أن نجعله طرفا في الخلافات الزوجية إن وجدت، ولا يحق لأي من الوالدين حرمان الطفل من أحدهما إذا حصل -لا قدر الله- طلاق بينهما.

التربية علىٰ صلة الرحم ، وحب الأسرة، واحترام الكبير والاجتماع والتعارف ، وإيجاد أوقات لاجتماع العائلة معه، والاهتمام باصطحابه من حين لآخر في نزهة ترفيهية تربوية.

تعويده علىٰ العفة عن أكل الحرام: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أخذ الحسن بن عليٍّ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كخ كخ. ارْمِ بها. أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟** ». وفي رواية: «**إنا لا تحل لنا الصدقة؟**»[2].

تربيته علىٰ مكارم الأخلاق منذ نعومة أظفاره، كالصدق

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه مسلم.

والأمانة والوفاء وحفظ السر، والنظافة والتعاون والصبر والحلم والتواضع والعفو والتسامح، والعزة، وتقديم القدرة العملية من الوالدين في ذلك ومكافأته علىٰ التخلق بها.

تنمية عقله، وتصحيح فكره وتقوية جسمه، وإتاحة الفرصة له لممارسة رياضة محببة إليه.

تعليمه وتربيته علىٰ الآداب الإسلامية في أحواله المختلفة، عند طعامه وشرابه ونومه وصحوه، وعند قضاء الحاجة، وعند دخول المنزل والخروج منه وعند ركوب السيارة، وغير ذلك من الآداب الأخرىٰ ك أدب الكلام وأدب المجالس، والجوار والصحبة، وتوقير الكبير وإجلال العالم، واحترام المعلم، وحب الوطن.

إعطاؤه الوقت والفرصة للكلام والحوار معه بصدق وحب ليفتح قلبه لوالديه عند الحاجة إليهما، والحديث معه بطريقة لا توحي باستجوابه واتهامه ، وتجنب الضرب والأذىٰ، و الحرص علىٰ التخلق بالرحمة عند العقاب، إذ الغرض الإصلاح والتربية وليس الانتقام والإيذاء.

أَدَبُ المُراهق

8

أدَبُ المُراهق

نظر إليه وكله فخر وإعجاب، وتمتم في نفسه يعيذه بكلمات الله التامات ويدعو له بالهداية والرشد والثبات، فقد نما جسمه وزاد طوله وخشن صوته، وظهرت عليه بوادر الرجولة من شعيرات خُطت علىٰ شاربه، وتناثرت علىٰ ذقنه، فرأىٰ فيه صورته ونفسه وعاد به إلىٰ الوراء حيث ذكرياته وهو مراهق علىٰ أبواب الشباب تتدفق في عروقه دماء الحيوية والحركة والنشاط..

ويستفزه أحيانا الهدوء والنصح والكلمات.. تذكّر وقتها كيف كان يشعر بالرجولة تناديه، وبالقوة تستدعيه، فيترجم ذلك علىٰ شكل أعمال فيها بعض الطيش الذي يحتاج إلىٰ روية، وتتسم بالحماس الذي يتطلب ترويضا علىٰ التجمل بالحلم والأناة والصبر والحكمة، لكن قلبه كان مفعما بحب الله فلم ينحرف عن منهجه، بل كان متعلقا ببيوت الله المساجد، ولم يتخذ من هذه الفترة الحرجة في حياته مبررا لارتكاب ما لا يرضي ربه ومولاه،

تمنىٰ أن يكون ولده كذلك حتىٰ يدخل في قوله ﷺ «**وشاب نشأ في عبادة الله**» (١).

إن حركة الحياة تتكرر أمامه ويراها يقينا تدور عجلتها به ومعه، فإذا بالفرع الصغير الذي تعاهد ريّه قد أورق وأينع، كالبذرة حين تنشق ثم تكبر فتسفر عن شجرة لها أوراق وفروع وأطوار متغيرة من أشكال الحياة.

ألا ما أهم هذه الفترة الزمنية في عمر كل إنسان، ويا لحظ من اقتنصها وجعل منها سهما يصيب به هدفه ويقهر به خصمه العنيد المتربص به دوما.

المراهقة:

والمراهقة من: راهقَ يُراهق، **مُراهقةً**، فهو مُراهِق.

يقال: راهق الغلام: أي قارب الحُلُم وبلغ حدَّ الرجال. وشابّ مراهق: أي بين البلوغ وسن الرشد. و«**هو في سن المراهقة**»: أي في مرحلة من عمره يقارب فيها الرشد.

فالمراهقة هي الفترة من بلوغ الحلم إِلىٰ سن الرشد.

---

(١) رواه البخاري.

وسن المراهقة: مرحلة من مراحل عمر الإنسان، تبدأ عند البلوغ وتستمر بضع سنوات لا تتجاوز الثامنة عشرة من العمر إلا في حالات مرضية.

وتحدد منظمة الصحة المراهقة أنها فترة ما بين (10 – 19 سنة) من العمر.

الوالدان.. والولد المراهق..

إن سنة التغير من سنن الحياة وهي تلازمنا في بيوتنا، فيُفطَم الرضيع ويكبر الصغير ويبلغ الأولاد والبنات الحلم وينمو فيهم الشعور بالذات والاعتداد بالنفس وحب الاستقلال، لذا فإن من أهم عوامل نجاح الوالدين في احتواء المراهق تفهم متطلبات هذه المرحلة وكيفية التعامل معها، فهي المرحلة الانتقالية من الطفولة إلىٰ الشباب ومن ثم إلىٰ الرجولة، وهي الفاصلة بين حياة مضت وحياة جديدة تطل علىٰ المجتمع كله من خلال أولاده وهم علىٰ عتبات الشباب. لكن للأسف تحدث أخطاء جمّة تجعل من هذه الفترة العمرية مرحلة صدام بين الوالدين وبين أولادهم، حينها يدق ناقوس الخطر معلنا وجوب التوقف عن تلك الأعمال التي تؤثر سلبا علىٰ الجميع.

مؤثرات على المراهق:

ويكبر الولد ذكرا كان أم أنثىٰ، وتكبر معه مسؤولية الوالدين، ولا تعني فترة المراهقة أن دورهما قد تلاشىٰ أو انتهىٰ، كلا، فإنها مرحلة تمر كما مرت من قبل مرحلة الحمل، والولادة، والرضاعة، والطفولة، لكن دور الوالدين فيها قد تغير تغيرا يناسبها ويناسب متطلباتها، وإن الغراس التي غرساها في الولد منذ صغره، والقِيَم التي ربّياه عليها، والقدوة الحسنة التي اتخذها منهما، وتربيته علىٰ الإيمان بالله ومراقبته وحبه، والنشأة علىٰ العفة وغض البصر وحب الخير وعمل المعروف، وكراهية الشر والفواحش والمنكرات، كل ذلك في ظني له أكبر الأثر المساعد في سلوك المراهق، كما أن فهم الوالدين التغيرات التي تطرأ عليه يسهم في صلاحه، فهو لم يكبر هكذا فجأة، ولن يأتي بتصرفات خارجة عن إرادته خاصة بعد سن البلوغ وإلا لما صار مكلفا ومحاسبا من الله، صحيح إن فترة المراهقة تشهد تغيرات جسمانية ونفسية وسلوكية واجتماعية في نفس المراهق، لكن الأسرة والمدرسة والمعلم والمجتمع والبيئة والإعلام، كلّ يساهم بدوره في توجيهه إمّا سلبا أو إيجابا، وإن الناظر إلىٰ

مجتمع الصحابة يرىٰ صدق ذلك، فحين عرف المربون مواهب الأولاد وحولوها إلىٰ طاقة إيجابية وعمل نافع آتت ثمارها، وحين كبر الأولاد علىٰ الخوف من الله والإخلاص له كانت فترة المراهقة بالنسبة لهم فترة عمل وإنتاج وطاعة، ولمّا نُشّئوا علىٰ قيمة الوقت وحسن إدارته نبغوا وفقهوا وملؤوا الدنيا نورا وعلما، وهذا ما علمنا إياه النبي ﷺ المربي الأعظم حين قال لعبد الله بن عباس وهو لم يزل غلاما بعد: « **يا غلام، إني أُعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك...** »[1].

طاقات ومواهب..

ومن الخطأ أن نعلق أخطاء المراهقين علىٰ شماعة المراهقة، فالأسرة المترابطة والبيئة الصالحة والأصدقاء الأسوياء والمعلمون القدوة والإعلام النظيف، والنوادي المتميزة كلها عوامل مساعدة وأدوات بناء لشخصية المراهق، وليس الفتىٰ المراهق هو ما تصفه للأسف وسائل الإعلام بأنه المتردي أبدا المنحرف عن طريق الجادة، المصاحب للفتيات، المحب للخلاعة والسهر والمجون، المدمن للدخان والبانجو

(١) أخرجه الترمذي، وصححه.

والمخدرات، العاق لوالديه الهارب من المسئولية والمساءلة، فتلك صورة مغلوطة ظلمنا معها المراهقة والمراهقين، وللأسف صارت مرادفا لمفهوم المراهقة في ثقافتنا وعند أولادنا.

فللمراهق طاقات ومواهب إذا مُهّدَ لها الطريق الصحيح تفجرت فيه، فعلينا أن نوجد لتلك الطاقات الكامنة ما يساعدها علىٰ الخروج من مخبئها لتظهر في المكان المناسب.

النبي.. والمراهق:

لقد أمّر النبي ﷺ أسامة بن زيد علىٰ سرية فيها أبو بكر وعمر، وكان عمره سبع عشرة سنة، أي فتىٰ في سن المراهقة كما نقول، لكنه رأىٰ فيه موهبة القيادة فنمّاها ورعاها وسخرها لخدمة الإسلام ومجتمع المسلمين. أما زيد بن ثابت فكان لبيبا نابها، يحكي لنا فيقول: قدم النبي ﷺ المدينة، وأنا ابن إحدىٰ عشرة سنة. وأمره أن يتعلم كتابة يهود. قال: وكنت أكتبُ، فأقرأ إذا كتبوا إليه.

وكان لصغار الصحابة ممن هم في سن المراهقة رأي صائب وعقل فاق عقول كبار القوم آنذاك إذ سارع الكثير منهم إلىٰ الإسلام وتأييد النبي ﷺ بينما أحجم أبو جهل وأبو لهب والوليد

بن المغيرة وغيرهم. فعلي بن أبي طالب أسلم وعمره عشر سنوات، وأسلم سعد بن أبي وقاص وهو ابن سبع عشرة سنة، كما أسلم معاذ بن جبل وعمره ثماني عشرة سنة، وهاجر الزبير ابن العوام وهو ابن ثمان عشرة سنة.

المراهق.. والهمة:

وهمة المراهق عالية إذا ما وُجّهت، فالإمام النسائي ارتحل من بلده وعمره خمس عشرة سنة ليطلب العلم فذهب إلىٰ العراق والشام والحجاز والجزيرة وخراسان حتىٰ استقر بمصر. وخرج الإمام أبو داود السجستاني من بلده وعمره 18 سنة ليطلب العلم أيضا فدخل العراق ثم الشام ومصر والحجاز ثم العراق ثم خراسان حتىٰ استقر في البصرة.

وأصبح عبد الملك بن مروان والي المدينة من قبل معاوية وعمره 16 سنة، وقاد هارون الرشيد الجيوش إلىٰ بلاد الروم وهو لم يتجاوز العشرين من عمره.

أما فاتح بلاد السند وأصغر فاتح في الإسلام فهو محمد بن القاسم الثقفي الذي ترعرع وتدرب علىٰ الجندية والفروسية، فلُقّن فنون الحرب وأساليب القتال حتىٰ أصبح من القادة

المعروفين وهو لم يتجاوز بعد 17 عامًا من العمر.

وبويع محمد الفاتح بالخلافة وهو في الثانية والعشرين من عمره، وقال عنه رسول الله ﷺ: « **لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش**»[1].

أما من الإناث فنضرب لعلو الهمة مثالا السيدة عائشة رضي الله عنها وقد مات النبي ﷺ وهي في الثامنة عشر من عمرها، وهي العالمة بالفقه والطب والأدب والشعر والأنساب، وقد روت عن النبي ﷺ 221 حديثا. كما أن أختها أسماء بنت أبي بكر كانت بطلة الهجرة، رضي الله عنهما.

والأمثلة كثيرة تمتلئ بها بطون الكتب ويحفظها التاريخ ويشهد عليها، تحمل مع شباب أمتنا الأمل وسحائب البشرىٰ، فلماذا لا تظهر في أفقنا إلا الصور السلبية الناتجة عن المراهقة، ولماذا نحشو أذهان أولادنا بذلك؟!

فمتىٰ نعين أولادنا علىٰ تحمل المسؤولية، ومتىٰ نشعرهم أنهم أهل لها فنقدّر أعمالهم ونثني عليها ونزرع فيهم آمالنا ليحققوها، ومتىٰ ندرك قيمة الرعاية لهم دون استبداد منا فنمارس الشورىٰ معهم دون أن نفقد احترامنا، ونحترمهم دون أن نفقد حق الوالدية؟!

---

(١) رواه البخاري.

أدَبُ الفَتاة

9

أَدَبُ الفَتَاة

احتضنتها وهي مسرورة وضمتها إلىٰ صدرها بحنان، وأمطرتها وابلا من القبلات وهي تدعو الله تعالىٰ أن يمدّ في عمرها حتىٰ تراها عروسا في بيت الزوجية، هانئة سعيدة، وراضية مرضية.

وشعرت بالمسؤولية الجسيمة الملقاة علىٰ عاتقها تجاه هذه الحبيبة الغالية التي بين أحضانها الآن وقد هلّ عليها هلال البلوغ وأضاءت حولها شمس المراهقة يتعانقان معا ليرسما عليها صورة ممتزجة من رشد البلوغ وصبيانية المراهقة، فرفعت كفيها إلىٰ الله ترجوه الهداية وتطلب منه العون وتلحّ عليه أن يثبت الجميع علىٰ طاعته وحبه.

التكريم الإلهي:

لقد اهتم الإسلام بالأنثىٰ منذ أولىٰ لحظات الحمل بها، وجعلها مفتاحا من مفاتيح الجنة، فقال النبي ﷺ: «**من ولدت له**

ابنة فلم يئِدْها ولم يُهنْها ولم يُؤثر ولده عليها - يعني الذكر - أدخله الله بها الجنة»[1]. وقال: «**من عال جاريتين؛ دخلت أنا وهو الجنة كهاتين. وأشار بإصبعيه السبابة والتي تليها**»[2]. وقال: «**من كان له أختان أو ابنتان، فأحسن إليهما ما صحبتاه، كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وقرن بين أصبعيه**»[3].

أيّ بركة وأيّ يُمْن وأيّ كرامة تسببت فيها الأنثىٰ لوالديها، لقد كرمها الله في الإسلام كرامة تتيه بها علىٰ سائر النساء، كرمها في سائر مراحل حياتها بنتا وطفلة وفتاة وشابة، عروسا وزوجة وأمّا، وأختا وخالة وعمّة وجدة، في حياتها وبعد مماتها، إذ جعل لها البرّ والإحسان في كل الأحوال، ولم تنل الأنثىٰ ما نالت إلا في ظل شريعة الإسلام، وقد امتد هذا التكريم داعيا أولياءها والقائمين علىٰ تربيتها إلىٰ الاهتمام بتلك البنت المباركة وحسن تنشئتها علىٰ العقيدة السليمة والإيمان الصادق ومكارم الأخلاق، ورعايتها وتعليمها، ويدعو النبي ﷺ إلىٰ ذلك فيقول: «**من كانت**

(١) رواه أحمد.

(٢) صححه الألباني- صحيح الترغيب.

(٣) صححه الألباني- السلسلة الصحيحة.

له بنت فأدبها فأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها وأسبغ عليها من نعم الله التي أسبغ عليه كانت له سترا أو حجابا من النار »[1] ، وقال: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانه ن إلا لئيم** »[2]. وما ذاك إلا تأكيدا لأهميتها كعضو فعال في المجتمع وبيانا لدورها العظيم في بناء لبنات هذه الأمة إذ هي مصنع إنتاج الرجال من الذكور والإناث وتخريجهم علىٰ التقىٰ والصلاح والعمل والإنتاج ، فإذا كان هذا المصنع مهملا أو مغيّبا عن واقع الناس أو غير صالح للعمل أو لا يعرف دوره فقد قيمته وصلاحيته فخسر وخسر معه المجتمع كله.

دور الوالدين..

والوالدان كل منهما مسؤول عن تربية ابنته، والتربية شراكة بين الأب والأم، والذرية الصالحة تكون بفضل الله نتاج هذه التربية الصالحة، والأم يقع علىٰ عاتقها العبء الأكبر ولها النصيب الأوفي منها لملازمة الطفل لها أكثر، ومن هنا كانت أهمية قربها من أولادها ولا سيما الأنثىٰ خاصة إذا ما قاربت سن البلوغ

(١) أخرجه أبو نعيم.

(٢) صححه السيوطي- الجامع الصغير.

ووقفت علىٰ باب المراهقة، ولا يعني ذلك إلغاء دور الأب، فهو هام ومؤثر، لكن الفتاة عادة ما تحاكي أمها وتتأثر بها في ملبسها ومشيتها وأقوالها وأفعالها وأفكارها وأخلاقها، وهي لن تتخذ من أبيها قدوة ومثلا في ملابسه أو زينته وإن كانت لا ريب تتعلم من أخلاقه وتشرب من أفعاله، أما الأم فالبنت تتأثر بها كثيرا حتىٰ أنها قد تصير نسخة طبق الأصل لها في طريقة حديثها ومشيتها واهتمامها بنفسها! ومن هنا كان دور الأم عظيما تجاه تنشئة الأنثىٰ منذ الصغر علىٰ الإيمان بالله ومراقبته وحبه طاعته، وتربيتها علىٰ العفة والستر والحياء وحسن الخلق، وألا تهمل ذلك بحجة أنها صغيرة، فتُترك حتىٰ تكبر ويصعب التغيير، ولا سيما وهي فتاة تعيش سنوات المراهقة التي تتطلب الأم الصديقة المتفهمة الواعية.

إن الأم التي تفقد فقه هذه المرحلة الهامة في حياة ابنتها لن تستطيع مساعدة الابنة علىٰ تخطيها بنجاح، حيث تتأهل فيها للخروج من دائرة الطفولة إلىٰ فتوة الشباب، ومن محيط الأسرة المحدود إلىٰ المجتمع الواسع بكل أطيافه وأفكاره واتجاهاته، ومن بيت الوالدين إلىٰ بيت الزوجية، ولكل رحلة من هذه

المراحل في حياة الفتاة احتياجات وحقائب معرفية يجب حملها واصطحابها في مشوار حياتها وإلا لن يكتمل لها سلوك أي طريق منها.

الأم.. وأدب الفتاة..

إن علىٰ الأم أن تدرك ما تمر به ابنتها من تغيرات سريعة في مراحل عمرها المختلفة، والتي يسبق نموها فيها نمو الولد، حيث تبلغ الحلم عادة قبله، فيتغير جسدها وتكبر أسرع إذا ما قورنت بأخيها، وتصبح فتاة بالغة وهي لم تزل بعد في سن العاشرة أو أكبر بقليل، وهذا يتطلب من الأم حسن التربية والتوجيه المناسب في كل مرحلة تقطعها البنت، وتتنوع احتياجات الفتاة بتنوع مراحل عمرها فما تحتاجه فتاة العاشرة غير ما تحتاجه بنت الخامسة، وحاجة بنت الخامسة عشرة غير حاجة بنت العاشرة، وحاجة الفتاة المقبلة علىٰ الزواج تختلف عن غيرها، وهكذا.

ومن هنا وجب علىٰ الأم أن تتقرب من ابنتها وتتخذ منها صديقة حميمة وأختا صغيرة، وتبني بينهما جسورا من الثقة، تفتح لها قلبها وتأتمنها علىٰ سرها وتعودها علىٰ ذلك، وأن تتبسط معها في الحديث وتمدح جمالها وتثني علىٰ خلقها وتشجع فيها

عمل الخير وحب المعروف وحسن التخلق، تصلي معها وتقرأ القرآن، وتتجاذب أطراف الحديث من هنا وهناك دون سآمة أو ضيق أو ملل، فتشعرها أنها أكثر من ابنة.

كما أن عليها أن تعلمها الصلاة، وتشجعها علىٰ حفظ القرآن الكريم، وتعلمها ما تحتاجه لدينها من معرفة الأحكام الخاصة بالنساء كأحكام الحيض والبلوغ والغسل والوضوء والتيمم، وأحكام لباس المرأة وعورتها، وتعودها بالتدريج علىٰ الحجاب قبل أن تبلغ بوقت يكفي للتعود عليه، مع بيان حكمه وفضله وثواب الالتزام به، وتربيها علىٰ الإخلاص وحسن الاتباع، وتحببها في عمل الخير، كل ذلك بأسلوب مناسب، علىٰ ألا تغفل دور الصحبة الصالحة والتشجيع عليها وذلك لأثرها وأهميتها في حياة الفتاة.

آداب هامة..

فإذا ما بلغت الفتاة سن الزواج صار واجبا علىٰ أمها أن تؤهلها للحياة المقبلة عليها والتي تعيشها البنت عادة كالخطوبة والزواج، وكيفية التعامل مع أسرتها الجديدة التي ستنضم إليها بزواجها، وكيف تكون بارة بهم متعاونة معهم تحترم كبيرهم

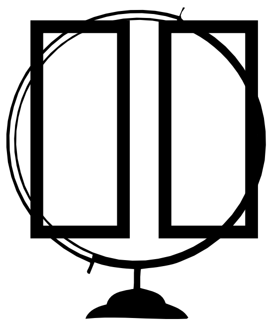
وترحم صغيرهم وتعرف للوالدين قدرهما ومكانتهما.

كما يجب أن تُعلَّم الفتاة أحكام الطلاق بصفة عامة، وخطورة التلفظ بطلبه من غير سبب، فهناك من الزوجات الحديثات عهد بالزواج مَن تردد كلمة طلقني طلقني كلما غضبت من زوجها. وكذلك بيان خطر النشوز والترفع علىٰ الزوج، وبيان ما يترتب علىٰ ذلك من أحكام شرعية، ومعرفة ما لها من حقوق وما عليها من واجبات، وتقدم الأم في ذلك كله لابنتها القدوة العملية في حسن التبعل وتربية الأولاد، وما يكون في الحمل والولادة والرضاعة والأمومة والتربية، ويمكن بيان ذلك في خطوط عريضة تتسع شيئا فشيئا حسب الحال والمقام والزمان، وكل أمّ تعرف ذلك وتحرص عليه غالبا، حتىٰ لا تفاجأ البنت بعد زواجها بما لم يكن في حسبانها.

إن علو الهمة من الوالدين في تربية الفتاة واجب عليهما، حيث تُربىٰ علىٰ أن يكون لها غاية سامية وهدف نبيل تسعىٰ لتحقيقه في حياتها، مع جدّها في طلب العلم واجتهادها في سلوك دربه، من غير أن تنسلخ من هويتها وتميزها كمسلمة، فلها أن تتعلم من العلوم واللغات ما ترغب شريطة ألا تهمل اللغة العربية والتفقه

فيما تحتاجه من أمور دينها.

ويخطئ الوالدان حين تنعدم الثقة بينهما وبين ابنتهما أو تهتز مهددة بالانفصام عنهما والتمرد عليهما، فالاحترام المتبادل مطلوب مع احتفاظ الوالدين بحقهما في البر والطاعة في المعروف وحسن التوجيه، ولا يعني ذلك أبدا إغفال رأي الفتاة أو عدم التشاور معها خاصة إن كانت الشورىٰ في أمر يتعلق بأسرتها أو فيما يخصها كتقدم شاب لخطبتها أو التحاقها بالجامعة، ولا يحق لوالديها أحدهما أو كليهما إجبارها علىٰ العمل وأخذ مالها إلا برضاها، ولا يجوز لهما عضلها عن الزواج ورفض الزوج الصالح المتقدم لها اتباعا للتقاليد، بل علىٰ الجميع أن يشارك في إنبات هذه النبتة الطيبة نباتا حسنا مع الدعاء لها بالصلاح، وأن تُؤهل لتكون بنتا بارة وزوجة صالحة وأمّا مربية وعضوا فاعلا تعرف دورها الحقيقي تجاه أسرتها وأولادها ومجتمعها.



إلى المربين

وذوي الاختصاص

10

إلى المربين وذوي الاختصاص

مرت الثواني والدقائق عليه، وتلتها الساعات والأيام والليالي، وجرت السنة وراء أختها وفاتت معها، وإذا بالسنوات تنقضي والعمر يمضي، ويعلن ذلك ظهور المشيب وقد اشتعل الرأس به شيبا، وهو لا زال أبا مربيا وناصحا، بل وجدّا حانيا ورفيقا.

لقد علمته السنون التي كان يتذوق فيها حلاوة تربية ولده، ويكابد معها مشقة التربية حين يثابر ويجتهد في سبيل أن يغرس غرسه ويبذر بذره.. كان حريصا علىٰ نظافة أرضه دائم الريّ والرعاية لها، قاوم كل الآفات وعالج جراحها وطهرها، وها هي والحمد لله قد آتت أكلها إذ أنبتت بذور الذرية الطيبة وأثمرت الولد الصالح الذي يدعو وسيدعو له.

أما الآن فإنه يرىٰ العالم وكأنه بيت كبير يضم غرفا متجاورة، لا تفصلها حدود فكل ساكنيها يرىٰ ويسمع ما يدور فيها ويؤثر علىٰ غيره في سيره إما بالتشجيع وإما بالتثبيط، وذلك بنقرة لطيفة

علىٰ باب الغرفة، أو غمزة عين أو إشارة يد، فرأي التحديات في طريق التربية قد كبرت، ورأىٰ ضحاياها يقع الواحد منهم تلو الآخر، والعالم يعجّ في حالة من اللهو القاتل والصمت المشين، والتكنولوجيا المدمرة! إلا من رحم الله، فخشي علىٰ أحفاده وذريته من بعده.

إنه لم يكن يملك الموبايل ولا الكمبيوتر، ولم يعمل حسابا علىٰ النت أو الفيس بوك أو السكايب أو التويتر، لكنه كان يملك رصيدا كبيرا من القيم العالية والأخلاق الرفيعة استمدها من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، تمنىٰ لو اصطبغت هذه القيم وتلك الأخلاق بالطفرة الكبيرة التي توصل الناس إليها من العلم والتكنولوجيا فدخلت كل بيت لتكون أداة فاعلة تخدمهم في التربية، وتمنىٰ أن تكون مُنتَجا عظيما للمسلمين ونوعا راقيا من تكنولوجيا الأخلاق والقيَم.

رأىٰ التحديات الوافدة كثيرة، والعقبات المتولدة عنها واردة، والعالم يتغير بسرعة فائقة، والناس بين هذا وذاك يغدون، و «**كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**»[1]. لكن ذلك كله لم

---

(١) رواه مسلم.

يمنعه من إسداء النصح وتذكير الولد من حين لآخر، مستعينا بالله عز وجل أولا، ثم بما تيسر له من وسائل التربية المتاحة، فطلب من الله تعالىٰ أن يحفظه في ولده وذريته ويثبتهم علىٰ الإيمان والصلاح من بعده.

الأب الصالح:

والصالحون في كل زمان ومكان حريصون علىٰ صلاح أولادهم، يدفعهم ذلك إلىٰ تقوىٰ الله عز وجل، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: قال سعيد بن المسيب لابنه: لأزيدن في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك. ثم تلا هذه الآية (وكان أبوهما صالحا).

وقال عمر بن عبدالعزيز: ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه.

وقال ابن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله، فما يزالون في حفظ من الله وستر.

وقال ابن كثير في تفسيره: وقوله: (وكانَ أَبوهما صالحا) فيه دليل علىٰ أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة.

وقال القرطبي: فيه ما يدل علىٰ أن الله تعالىٰ يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وإن بعدوا عنه وقد روي أن الله تعالىٰ يحفظ الصالح في سبعة من ذريته؛ وعلىٰ هذا يدل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ (١).

وصية أب:

وقد بذل الآباء الصالحون من أنفسهم النصيحة الخالصة لأولادهم، فها هو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينصح ولده فيقول له:

يا بني: « أوصيك بتقوىٰ الله عز وجل في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنىٰ، والعدل علىٰ الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضا عن الله في الشدة والرخاء. يا بني: ما شر بعده الجنة شر، ولا خير بعده النار خير، وكل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار عافية، واعلم يا بني أن من أبصر عيب نفسه شُغل عن عيب غيره، ومن رضي بقسم الله لم يحزن علىٰ ما فاته، ومن سلّ سيف البغي قُتِل به، ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عورات بنيه، ومن نسي خطيئته استعظم

(١) سورة الأعراف، الآية: 196.

خطيئة غيره».

ونصح الإمام ابن الجوزي ابنه قائلا له: يا بني.. اعلم وفقك الله للصواب أنه لم يتميز الآدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك وأعمل فكرك واخل بنفسك، واعلم أنك مخلوق مكلف، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها، وأن الملكين يحصيان ألفاظك ونظراتك، وأن أنفاس الحيّ خطاه إلىٰ أجله، ومقدار اللبث في الدنيا قليل، والحبس في القبور طويل، والعذاب علىٰ موافقة الهوىٰ وبيل، وراع عواقب الأمور يهن عليك الصبر عن كل ما تشتهي وتكره، وإن وجدت من نفسك غفلة فاحملها إلىٰ المقابر وذكرها قرب الرحيل. فأين لذة أمس؟ رحلت وأبقت ندما. وأين شهوة النفس؟ كم نكست رأسا، وأزلت قدما، وما سعد من سعد إلا بخلاف هواه، ولا شقي من شقي إلا بإيثار دنياه . واعلم أن أداء الفرائض واجتناب المحارم لازم، فمتىٰ تعدىٰ الإنسان فالنار النار. واعلم يا بني أن الأيام تبسط ساعات، والساعات تبسط أنفاسا، وكل نفس خزانة، فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء، فترىٰ في القيامة خزانة فارغة فتندم ، وحاسب نفسك عند كل نظرة وكلمة، وأدّ إلىٰ كل ذي حق حقه، وانظر كل

ساعة من ساعاتك بماذا تذهب، فلا تودعها إلا أشرف ما يمكن، ولا تهمل نفسك، وعوّدها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه، وابعث إلىٰ صندوق القبر ما يسرّك يوم الوصول إليه.

إلى المربين وذوي الاختصاص:

أيها المربون المخلصون.. إن أولادنا اليوم هم أحوج ما يكونون لصلاح آبائهم ونصائحهم الصالحة، إذ يعيشون بين تناقضات عديدة وتحديات كبيرة، والمربي الناجح هو الذي يستطيع أن يعرف كيف يوافق ويوازن بين الشيء وضده، ويجعل من السهم المصوب لصدره أداة تخدمه وسهما يحميه، وأقصد بذلك إيجاد البدائل التربوية الموافقة للدين وترويض ما يخالفه منها لخدمته، وتسخير كل الوسائل المتاحة في عصره لخدمة هدفه في تربية النشء، وفي ظني أن هذه مسؤولية مشتركة بين الوالدين والمجتمع بكافة أطيافه، فالتحديات كثيرة وقوية والتيار لا يتوقف والموج جارف والثبات يصعب في تلك المواقف إلا من وفقه الله وأعانه علىٰ النجاة وسلوك سبيل المتقين.

فالمؤثرات في التربية كثيرة والعوائق متنوعة، ويتطلب ذلك وقفة جادة من كل المربين وذوي الاختصاص للبحث عن أفضل

الحلول وطرحها وبرمجتها لسد الفجوة أمام المؤثرات المضادة والتي منها علىٰ سبيل المثال:

- الغزو الثقافي والفكري، وانخفاض مستوىٰ التعليم وضعف الاهتمام به.

- جهل بعض الآباء والأمهات طرق التربية السليمة ووسائلها ، وما صاحب ذلك من تمرد بعض الأبناء.

- انشغال الوالدين أو أحدهما بالدراسة أو بالعمل.

- خروج المرأة للعمل مع حاجة الأولاد إليها، وترك التربية للأم البديلة (الخادمة- الحاضنة- الأهل).

- فقدان الأسرة الكبيرة (العائلة) وتراجع قيَمها العالية التي كانت تثيرها.

- تقلص دور الأب والمدرسة والمعلم والصحبة والمسجد والعلماء والبيئة والمجتمع.

- الخلافات الزوجية وكثرة حالات الطلاق، وارتفاع سن الزواج وكثرة تكاليفه.

- اتساع الفجوة بين الأبناء وبين الآباء، والتمسك ب بعض العادات والتقاليد السلبية.

- الحياة الاقتصادية الصعبة مع طغيان المادة والاهتمام بالظاهر علىٰ حساب الأخلاق والدين.

- الفهم الخاط ئ للدين والتقصير في تعليمه، وانتشار بعض المفاهيم الخاطئة.

- نظام الدراسة والتعليم ومناهجه، والمذاكرة المتواصلة التي لا مجال معها لأي نشاط بدني أو اجتماعي.

- هجر القراءة، واستبدالها بالألعاب الالكترونية ووسائل الاتصال الحديثة، مع فقدان القدوة الصالحة.

- عدم الاهتمام بالرياضة البدنية بأنواعها المختلفة، وقلة أماكن ممارستها.

- ضعف اللغة العربية وضعف الهوية الإسلامية والانبهار بالغرب وتقليده بلا تمييز، والهزيمة النفسية.

- الفراغ الفارغ، وقلة أماكن الترفيه النظيف وغلاء رسوم دخولها.

- إلف المنكر والخطأ والاعتياد عليه وتدني الأخلاق والانفصام بين الأخلاق والعبادات.

- التكنولوجيا الساحرة، والشاشة الصغيرة، وغياب الدور التربوي في معظم وسائل الإعلام.

- انتشار المخدرات وترويجها والتجارة فيها علىٰ حساب أبنائنا، وآثارها السيئة علىٰ الجميع.

- مشكلات العالم العربي والإسلامي الكثيرة، والتعصب السافر ضد الإسلام والمسلمين.

- قلة المؤسسات الدينية وعوزها المادي، وضعف دورها، وهذا خاص بالنسبة للمسلمين المقيمين في الغرب.

ولا شك أن هناك مؤثرات أخرىٰ تزيد من التحديات، لكن هذا لا يعني أننا عاجزون عن حسن التربية بل لا بد أن تتكاتف الجهود ولا سيما من المربين والتربويين لبيان أفضل طرق التربية وتطوير أساليبها والاستفادة من التقدم المعاصر الذي نشهده، انطلاقا من قول النبي ﷺ: «**كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيتها**»[1].

---

(١) رواه البخاري.

مقدمة

الأسرة هي أساس أي مجتمع، وهي اللبنة التي يتكون منها، وعلىٰ قدر قوتها ومتانتها يكون المجتمع قوة ومتانة. والآباء والأمهات والأبناء والبنات هم لبنات هذه الأسرة.

وقد ذكر الله تعالىٰ في كتابه بعض هذه اللبنات وخصها بالذكر، فورد ذكر الأب والابن، كما ذكرت الأم، وذكرت البنت، وكل قصة لنا معها شأن وحال، منها ما ينمّي حياتنا الإيمانية والتربوية كما في قصة لقمان وابنه، وقصة يعقوب عليه السلام مع إخوة يوسف، ومنها ما يعين في حياتنا الدعوية كما في قصة نوح عليه السلام وابنه، أو في حياتنا الأمنية كما في قصة ابني آدم، وكل هذه القصص تحمل معها الكثير من الآداب الهامة التي نحن في أشد الحاجة إليها خاصة في هذه الأيام التي لم تصبح التربية من مهام الوالدين وحدهما، إذ شارك فيها جهات شتىٰ من وسائل الإعلام المختلفة كالفضائيات والإنترنت، والألعاب الالكترونية، والكتاب، والمجلة، والشارع والبيئة، والمدرسة والمسجد،

والصحاب والأصدقاء، كلّ بحسب موقعه.

وقد اخترتُ بعض هذه الأسر لنتعلم منها نحن كآباء وأمهات وأبناء ما ينفعنا، حاولت أن أقطف من كل أسرة ثمرة حلوة المذاق تحلو بها حياتنا الأسرية ويتزين بها واقعنا الذي نحياه والله تعالىٰ يقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[1].

أقدمها إلىٰ كل أب وأم، وهبهما الله تعالىٰ أولادا وذرية، ليعلما قدر هذه النعمة وعظمها؛ ويمارسا معها واجبات الأبوة والأمومة التي أُمرا بها. كما أقدمها لكل ابن وابنة ليعرف كل منهما أن في والديه جذور قوته وثبات فرعه الضعيف الذي يستمد منه النماء والغذاء! وليعرف أن طاعته والديه في المعروف جزء من طاعة الله عز وجل.

فهيا بنا معا نتعرف علىٰ (**آباء.. وأبناء.. في القرآن الكريم**).. لنربي أنفسنا وأولادنا علىٰ ما صلح من سيرتهم.

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

آبـــاء..وأبنـــاء..
في
القرآن الكريم

آدمُ عليه السلام ..

وابناه

1

آدمُ عليه السلام .. وابناه..

إنها قصة الإنسان من قديم الزمان، حين يتنكر لإنسانيته ويلقي بها بعيدا عن نفسه، فيتحول إلىٰ وحش كاسر لا قلب له ولا عقل.. قصة الإنسان حين يتنكر لأخيه الإنسان فيعطي نفسه الحق أن يتخلص منه ويطوي صفحة حياته بيديه دون تردد.. قصة الإنسان حين يتنصل من مسئوليته ويتغافل وينسىٰ أنه مكلف مساءل محاسَب عن كل ما يرتكبه في هذه الحياة من خير أو شر.

هي إذَنْ قصة الصراع حين تظهر (الأنا) وتعلو وتسود وتجد لها مكانا في النفوس، فيختلط تراب الأرض بدماء الأبرياء والمظلومين.. قصة س ـطِّرتْ وخُلدت لتكون عبرة للعالمين.. تُذكّر بالدم وتحمل بين حروفها وثناياها رائحة الدم!

وقد ذكر الله تعالىٰ هذه القصة في كتابه العزيز فقال: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ

مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (١).

البداية:

خلق الله تعالىٰ آدم وكرمه فأسجد له الملائكة، وفضله بالعلم، وأسكنه جنته وجعل منه زوجه ليسكن إليها، وحذره الشيطان ووسوسته وغوايته، فعاش هانئا في الجنة ما شاء الله له أن يعيش، لكن الشيطان تربص له حتىٰ نسي آدم وعصىٰ ربه فأخرجه من الجنة إلىٰ الأرض، وأنزلت حواء، وكذلك أهبط إبليس، وعاش آدم وزوجه علىٰ الأرض، ولم يكن بها بشرا سواهما، فمنّ الله عليهما بالذرية فكانت حواء تحمل في كل بطن ذكرا وأنثىٰ، هما بمثابة الإخوة الأشقاء، يحرم كل منهما علىٰ الآخر، لكن يحل لكل منهما أن يتزوج من غير توأمه.

ومن آدم وحواء خلق الله البشر ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ (٢).. ومن أولاد آدم كان قابيل وهابيل، وبالتأكيد كان لكل منهما أخت شقيقة هي توأمه.

---

(١) سورة المائدة، الآية: 27.

(٢) سورة النساء، الآية: 1.

القربان:

اختلف أهل العلم في سبب تقريب ابني آدم القربان، وسبب قبول الله عز وجل ما تقبل منه، ومَن اللذان قربا؟ فقال بعضهم: كان ذلك عن أمر الله جل وعز إياهما بتقريبه. وكان سبب القبول أن المتقبَّل منه قرّب خير ماله وقرب الآخر شر ماله، وكان المقربان ابني آدم لصلبه أحدهما هابيل، والآخر قابيل.

وقد ذكر في التفاسير أنه ورد عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: (أن آدم أمر ابنه قابيل أن ينكح أخته توأمة هابيل، وأمر هابيل أن ينكح أخته توأمة قابيل. فسلم لذلك هابيل ورضي، وأبىٰ قابيل ذلك وكرهه........ فقال له أبوه: يا بني فقرب قربانا، ويقرب أخوك هابيل قربانا، فأيكما قبل الله قربانه فهو أحق بها). وعن إسماعيل بن رافع، قال: (بلغني أن ابني آدم لما أمرا بالقربان، كان أحدهما صاحب غنم، وكان أنتج له حمل في غنمه، فأحبه حتىٰ كان يؤثره بالليل، وكان يحمله علىٰ ظهره من حبه، حتىٰ لم يكن له مال أحب إليه منه. فلما أمر بالقربان، قربه لله فقبله الله منه، فما زال يرتع في الجنة حتىٰ فدىٰ به ابن إبراهيم ﷺ).

الجريمة.. واليد الملوثة:

حسد قابيل أخاه أن قبل الله قربانه، وهدده بالقتل مؤكدا (لأقتلنك)، لكن أخاه حاول أن يوقظ فيه روح الإيمان ويذكره بخلق الإخلاص ويدعوه للرضا بأمر الله «**قال إنما يتقبل الله من المتقين**».. لم يهدده بالانتقام منه إن هو حاول قتله، ولو شاء لفعل، بل قال له ﴿ **لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ (١).

قال عبد الله بن عمرو: وايم الله إن كان لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج، يعني الورع .

لم يعبأ قابيل بكلمات أخيه ولم تهزه أو تردعه ، لم ترقق له قلبا أو تلن له قناة ﴿ **فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ** ﴾ (٢). فقتل قابيل أقرب الناس إليه وأمسهم به رحما وأولاهم بالمحبة، قتل بيديه أخاه ابن أبيه وأمه. سفك دمه عن عمد وسبق إصرار، فكان أول قاتل من البشر، وكان دم هابيل أول دم أسيل علىٰ وجه الأرض منذ سكنها آدم.

(١) سورة المائدة، الآية: 28.

(٢) سورة المائدة، الآية: 30.

تلوثت يدا قابيل القاتل بالدم البريء، وامتدت ظلما لتوقف قلبا حيّا كان ينبض بحب الله والإخلاص له، تلوثت يداه بدم أخيه الذي هو بضعة منه، ولم يعمل حسابا لصلة الرحم التي تجمعه به ولا لِحَقّ الوالديّة الذي أسقطه عن نفسه! تلطخت يداه بالدم المسفوك ظلما وبغيا لإنسان مثله له ما له وعليه ما عليه، ليحمل قابيل القاتل وزره، ووزر مَن يقتدي به إلىٰ يوم القيامة! ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا تقتل نفس ظلما إلا كان علىٰ ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سنّ القتل**»[1]. فقد ترك أثرا سيئا لا تمحوه الأيام «**ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[2].

حسد.. وبغي.. وقتل!!

أما عن أسباب الجريمة فهي نفسها في كل وقت وزمن، حسد وبغي.. ظلم وعقوق.. قسوة وغلظة.. أنانية وأثرة.. تسلط واستبداد! وقد اجتمع في فعل قابيل كل ذلك فلم يترك لنفسه من الخير شيئا!

لم يرحم أخاه ولم يحفظ رحمه، والنبي ﷺ يقول: «**الراحمون**

(١) رواه البخاري.

(٢) الألباني- صحيح الجامع.

يرحمهم الرحمن. ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء، الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله»[1]. ارتكب جريمته الشنعاء وأحل لنفسه الدم المعصوم، وتالله لا أدري كيف يجرؤ إنسان فيقدم علىٰ قتل نفس لها حرمتها وكرامتها، وكيف تطاوعه يده فتمتد برفع السلاح علىٰ غيره ظلما وزورا، وبأي عذر يبيح لنفسه أن ينصب منها علىٰ غيره من الناس محاسبا ورقيبا، وجبارا متسلطا، وجلادا قاتلا! فله الله كل مظلوم، وهو حسبه ونعم الوكيل، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [2].

لقد هبّ قابيل من موتته وقام وانتعش، وعاش بيننا بلا استحياء، وظهر سرا وعلانية، وصار يغشىٰ مجامعنا ومنتدياتنا بحسده وبغيه، ولم يستخف بوجهه أو يغيبه، بل لبس أقنعة محرمة بشعة تثير الرعب بين الناس و تتيح له انتهاك الحرمات وترويع الآمنين وقتل الأبرياء، وهذا من العجب! قتل وتشريد، وقمع وإرهاب، ثكل وفقد، وترمل ويتم، فهل يورث كل ذلك أو بعضه أدنىٰ قدر من الأمن أو الأمان أو الحرية أو الحب.

---

(١) الألباني- صحيح الترمذي.

(٢) سورة النساء، الآية: 45.

لقد اقتدىٰ بعض الناس -للأسف- بقابيل، وساروا علىٰ نهجه، فتلوثت أيديهم بدماء الأبرياء أخذا بالشبهة وانتقاما للنفس واتباعا للهوىٰ ومؤاخاة للشيطان، وطمعا في دنيا زائلة مهما طالت، منقضية مهما امتدت، ينتزعها الله انتزاعا من أصحابها متىٰ أراد، وهو سبحانه يقول مذكرا: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ (1)، ويقول: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ (2).

حرمة الدماء..

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلا، فخذوا خيرهما ودعوا شرهما**»(3)..

وجعل الله تعالىٰ من قاتل النفس الواحدة قاتلا لجميع الناس.. قال تعالىٰ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: 25.

(٢) سورة البقرة، الآية: 281..

(٣) الألباني-ضعيف الجامع.

وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ ...﴾ (١). قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: المعنىٰ: من قتل نفسا واحدة وانتهك حرمتها فهو مثل من قتل الناس جميعا ، ومن ترك قتل نفس واحدة وصان حرمتها واستحياها خوفا من الله فهو كمن أحيا الناس جميعا(٢).

وذكر النبي ﷺ جملة من الأحاديث تبين حرمة الدماء المعصومة وتجرّم القاتل، فقال «**لا يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دما حراما**»(٣)، وقال «**من قتل مؤمنا فاغتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا**»(٤).

وحذر من عاقبة ذلك فقال : «**يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دما، فيقول: يا رب! سَل هذا فيم قتلني؟ حتىٰ يدنيه من العرش**»(٥). ألا فليعد كل قاتل الإجابة علىٰ هذا السؤال!

---

(١) سورة المائدة، الآية:32.

(٢) تفسير القرطبي.

(٣) رواه البخاري.

(٤) صحيح أبي داود.

(٥) صحيح الجامع- صححه الألباني.

نوحٌ عليه السلام ..

وابنه

2

نوحٌ عليه السلام .. وابنه..

إنها قصة الإنسان حين يتنكّب عن طريق الله وينحرف عنه في سلوكه، فيتنكّر لخالقه ومولاه، ويظن غرورا وزورا أنه عنه غني! ويغتر بحلم ربه إذ كرمه بالعلم وأنعم عليه بالعقل وجعل له إرادة فخيّره بين طريق الرشد وطريق الغي، وقال: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (١).

كما أنها قصة الهداية التي يمنّ الله بها علىٰ من يشاء من عباده، وقصة العدالة الإلهية التي لا تظلم ولا تحابي أحدا، مَن عاشها بقلبه حقا فإن لسانه لا يفتأ يذكر ربه ويشكره ليل نهار علىٰ أن هداه وأعانه علىٰ سلوك درب المتقين، حين أخطأ غيره الطريق فانحرف ومال.. ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية 256.

(٢) سورة الحجرات، الآية:17.

وهي قصة الأبوة الحانية التي فطر الله عليها الآباء، والنبوة الصادقة في دعوتها ، الأمينة في تبليغ رسالتها حتىٰ آخر لحظة في حياة المدعوّ، فكيف إذا كان ابنا من صلب هذا النبي.

قصة تحمل بين حروفها مسئولية كل إنسان عما يفعل، ومؤاخذته بما اقترفت يداه دون النظر إلىٰ أبيه وأمه ولا إلىٰ جنسه ولونه أو نسبه وحسبه، وجاهه وملكه.. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [(١)].

إنها جديرة لأن تُهدَىٰ لأصحاب الهمم العالية والمراتب السامية من أهل الدعوة إلىٰ الله، الذين لا يحيدون عن مبدأ الحق طرفة عين، وبمثل هذه الهمم تُرتَقَىٰ القمم!

الأب النبي:

إنه نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الذي قيل إن مولده كان بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة، وأنه أول رسول بعثه الله إلىٰ أهل الأرض بعد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ . عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم علىٰ شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين**»[(٢)]، كما أنه من أولي العزم من الرسل

---

(١) سورة عبس، من الآية: 34-37.

(٢) الألباني – السلسلة الصحيحة.

الذين دعا الله نبيه محمدا ﷺ أن يقتدي بهم في الصبر ويسلك دربهم في الدعوة ، ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [1]، قال محمد بن إسحاق: ولم يلق نبي من قومه من الأذىٰ مثل نوح إلا نبي قتل.

أرسل الله نبيه نوحا عليه السلام إلىٰ قومه برسالة التوحيد بعد أن شُوهت وحلّ محلها الشرك.. قال عبد الله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير: وكان أول ما عبدت الأصنام أن قوما صالحين ماتوا فبنىٰ قومهم عليهم مساجد وصوّروا صور أولئك فيها ليتذكروا حالهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم، فلما طال الزمان جعلوا أجسادا علىٰ تلك الصور، فلما تمادىٰ الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين، ودّا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا، فلما تفاقم الأمر بعث الله سبحانه وتعالىٰ وله الحمد والمنة رسوله نوحا، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له فقال ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾ [2] .

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: 25.

(٢) سورة الأعراف، الآية: 59.

دعوة الحق:

إن أصحاب الحق يحارَبون في كل زمان ومكان، قد يطول بهم الزمن وقد يقصر، لكن الأمر اليقين أنهم في نهاية الأمر منصورون، وما دام هذا وعد الله فليصبر الداعية ويحتسب.

لقد سلك سيدنا نوح في دعوة قومه كل السبل، واتخذ فيها مختلف الأساليب، وجمع بين شتىٰ الوسائل، فدعاهم بالليل والنهار، في السر والعلن، بالترغيب والترهيب، طلب منهم أن يتفكروا ويُعمِلوا عقولهم، فلم يخشع لهم قلب، ولم تدمع لهم عين، بل كانوا صما وعميا وبكما، ﴿**فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما**﴾، وكان ممن كفر بدعوته امرأته وابنه! ﴿**وما آمن معه إلا قليل**﴾. قال ابن عباس: رجا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ الأبناء بعد الآباء، فيأتي بهم الولد بعد الولد حتىٰ بلغوا سبعة قرون، ثم دعا عليهم بعد الإياس منهم.

مهمة الداعية.. ومسؤوليته:

لم تكن دعوة نوح ببعيدة عن أهله، فالأهل من الزوجات والأبناء والأرحام هم أحق الناس بها قبل غيرهم، وحين يبدأ الداعية دعوته، فليبدأ بنفسه أولا ثم يثني بأهل بيته، ثم يدعو

قومه، وقد قال الله تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [1]، ثم أمره : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [2]. ثم توسعت دائرة الدعوة: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ [3]. ومع هذا لم يؤمن به أقرب الناس إليه.. عمه أبو طالب، وعمه أبو لهب، وتلك حكمة الله التي لا نعلمها، لكن ذلك لم يمنعه من تبليغهم والحرص علىٰ هداهم، كما فعل نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ابنه وقومه ، فلم يأل أحد منهما جهدا في نصحهم.

لكن أبا طالب يموت مشركا ويحزن النبي ﷺ فيقول له: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [4]. وحينما حزن طمعا في إيمان المشركين قال له الله : ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ ﴾ [5] .. ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا

(١) سورة المزمل، الآية: 2.

(٢) سورة الشعراء، الآية: 214.

(٣) سورة الحجر، الآية: 94.

(٤) سورة القصص، الآية: 56.

(٥) سورة البقرة، الآية: 272.

ٱلْبَلَـٰغُ ﴾ (١).

وقد حدث هذا مع نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ حين دعا ابنه لركوب سفينة النجاة بالإيمان ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (٢). قيل هذا هو الابن الرابع واسمه (يام) وكان كافرا، دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يغرق مث لما يغرق الكافرون، لكن الابن العاق أبىٰ واستكبر، واعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلىٰ رءوس الجبال وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق! «**قال سآوي إلىٰ جبل يعصمني من الماء** » ويأتيه الرد علىٰ لسان أبيه «**قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم**».

لا زال أبوه يحذره وينصحه، إنها النصيحة الخالصة من الوالد لولده لا سيما ساعة الضيق والشدة، ويأبىٰ الولد ويصر علىٰ الكفر والعقوق والعصيان، وينتهي المشهد الأليم أمام النبي الوالد «**وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** » فليس الوقت

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: 48.

(٢) سورة هود، الآية: 42.

الآن وقت محاباة لقرابة أو صداقة، بل كلٌّ ينال جزاءه ويتحمل نتيجة ما يعتقده ويؤمن به، ويحاسَب علىٰ اختياره، شأنه في ذلك شأن مَن معه ممن كفر فأغرق. وما أقسىٰ التكذيب علىٰ نفس الداعية حين يكون من أقرب الناس إليه.

رباط الدين.. أم رباط النسب؟

انتهىٰ الطوفان، ونجّىٰ الله نوحا عليه السلام ومن آمن معه، وتتحرك مشاعر الأبوة في نفس نوح تجاه ولده ويتساءل عن مصيره وحاله، ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ (١). وهذا سؤال استعلام وكشف من نوح عليه السلام عن حال ولده الذي غرق، فيسأل: قد وعدتني يا رب بنجاة أهلي ووعدك الحق الذي لا يخلف فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟ فيأتيه الجواب من الله واضحا صريحا،﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ (٢). فابنك هذا ليس من أهل دينك ولا ولايتك -وهذا يدل علىٰ أن حكم الاتفاق في الدين أقوىٰ من

---

(١) سورة هود، الآية: 45.

(٢) سورة هود، الآية: 46.

حكم النسب- لقد عصاك وخالفك في العمل والنية فليس منك من لم يؤمن، ولا ممن وعدتك أن أنجي من أهلك لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك «**إلا من سبق عليه القول منهم** » فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته نبي الله نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ . وكان ابنه لصلبه! وفي هذه الآية تسلية للخلق في فساد أبنائهم -وإن كان الآباء صالحين- ما بذلوا الجهد في تنشئتهم وتربيتهم، ونصحهم وتأديبهم، ولم يقصروا في ذلك.

وإذا كان هذا هو الحال والمفارقة في عذاب الدنيا وهو أهون من عذاب الآخرة، فإن الحال في الآخرة أصعب وأشد ﴿ **يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾ (١). فلا ينصر المؤمنُ الكافرَ لقرابته، ولا يدفع ابن عم عن ابن عمه ولا قريب عن قريبه ولا صديق عن صديقه، ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ (٢).

فليعمل كل منا لنفسه وليقدم بين يديه يوم القيامة إيمانا وصدقا وإخلاصا خالصا ، فالله تعالىٰ يقول لنا: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ

(١) سورة الدخان، الآية: 41.

(٢) سورة الروم، الآية: 14.

أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْۚ ﴾ [1].

(١) سورة الممتحنة، الآية:3.

أُمّ مُوسَى..

وابنها الرضيع

3

أمّ مُوسَى.. وابنها الرضيع..

إنها دروس التوكل علىٰ الله تعالىٰ في أعلىٰ درجاته، تعلمها لنا امرأة! هي أمّ تملك كل مشاعر الأمومة، ويفيض قلبها حبا وحنانا وخوفا علىٰ فلذات أكبادها شأنها في ذلك شأن سائر الأمهات، لكن يقينها العظيم بالله كان أقوىٰ من كل المشاعر، وتوكلها الصادق عليه كان أعظم.

وليس بالأمر الهين أن تحمل الأم جنينها في أحشائها يتقلب ليل نهار علىٰ أصوات المواليد وهم يذبحون، وتنام الأم وتصحو علىٰ صراخاتهم الأولىٰ وهي توأد بلا رحمة فتدفن معها حياتهم، لا لذنب اقترفوه إلا تأويل رؤيا لطاغية عصره وفرعون زمانه مفادها أن هلاكه وزوال ملكه البائد علىٰ يد غلام يولد من بني إسرائيل!

أَسَمعتم عمّن يخشىٰ ميلاد طفل، لا يعرف أين هو ولا مَن هو، ويموت رعبا كل لحظة كلما ولد صبي، خوفا علىٰ أركان

عرشه منه، وضنًّا بكرسي الملك أن يزول من تحت قدميه بسببه، ويؤمّل لنفسه أنه سيعيش عمرا طويلا يخشىٰ معه أن يكبر هذا الطفل إن تُرك حيّا فتتحقق الرؤيا كما فسرها الكهان والمعبرون؟ هذا ما كان من فرعون!

أم موسى:

إن بطلة حديثنا هي تلك المرأة المؤمنة، أم موسىٰ، واسمها (أيارخا)، التي حملت بموسىٰ في الوقت الذي كان فرعون يأمر فيه بذبح كل غلام يولد من بني إسرائيل، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (١) وذلك لأن الكهنة أو المنجمون قالوا له: إن مولودا يولد في بني إسرائيل يذهب ملكك علىٰ يديه، أو رأىٰ رؤيا فعبرت كذلك. قال الزجاج: العجب من حمقه لم يدر أن الكاهن إن صدق فالقتل لا ينفع، وإن كذب فلا معنىٰ للقتل.

وتمر اللحظات ثقيلة عصيبة علىٰ أم موسىٰ وهي تعاني متاعب الحمل ووهنه، وكأيّ أمّ هذا حالها فإنها ستتمنىٰ ألا تلد مولودا

---

(١) سورة القصص، الآية:4.

ذكرا خشية فقدانه، وستودّ أن لو ظل هذا الجنين بين أحشائها آمنا في بطنها! وكأني بها وهي تحاول إخفاء هذه البطن عن الناس، وتستخفي عن أنظارهم خشية وصول خبر حملها إلىٰ القتلة مصاصي الدماء، فتفقد فلذة كبدها بعد ولادته إلىٰ الأبد.

إنه وأد بآلة الذبح، تلك الآلة التي نراها للأسف الآن -في عصر التكنولوجيا- شرسة ونهمة تلتهم كل من يعترضها وتطيح برأسه، لتسود كما سادت من قبل في عصر الظلام والجاهلية، إنها تتكرر وتشتد مع الاستضعاف، وتزيد ضراوتها إذا ما ابتُغِيَتْ الحرية الإنسانية ونودِيَ بالعدل واستُدعِيَتْ الكرامة، تتجدد وتعود علىٰ أيدي كل فرعون طاغية، حيث يذبح الأطفال وهم أجنة في بطون أمهاتهم، وتوأد صرخاتهم قبل أن ترىٰ النور، تذبح وإن اختلفت شكل السكين، فقد تكون مدفعا رشاشا أو طائرة حربية، وقد تكون راجمة صواريخ أو دبابة ثقيلة أو سلاحا كيماويا! وقد تكون ببقر البطون واستخراج المواليد استعجالا للتخلص منهم، أو بقتل الأطفال في المشفىٰ أو المدرسة، وسرقة ضحكاتهم البريئة واستبدالها بالصراخ والعويل! وقديما ليس ببعيد قال عمر بن الخطاب ﵁ لعَمرو بن العاص واليه علىٰ

مصر، مقولته الخالدة التي تصلح أن تزين بها دساتير حقوق الإنسان (متىٰ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) وذلك حين ضرب ابن عمرو رجلا مصريا قبطيا سبقت فرسه فرس ابن الأمير، لكن الولاية لم تُحَصّن عَمروا، أو تفلته من الرقابة هو أو ابنه، بل علىٰ العكس هي مدعاة للمحاسبة الشديدة والقصاص العادل الذي لا يفرق بين إنسان وإنسان.

الولادة.. والخوف:

وكان قدر الله الغالب الذي لا مفر منه «**والله غالب علىٰ أمره** » ووضعت أم موسىٰ وليدها ذكرا، هو موسىٰ، ووقع ما كانت تخشاه.. وضاقت به ذرعا وخافت عليه خوفا شديدا وأحبته حبا زائدا، وكان موسىٰ عليه السلام لا يراه أحد إلا أحبه، قال الله تعالىٰ: «**وألقيت عليك محبة مني**». فلما ضاقت به ذرعا ألهمت في سرها وألقي في خلدها وأنفث في روعها.. قال تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ (١) . وحيًا جاءها من الله فقذف في قلبها، وليس بوحي نبوة، وذلك أنه كانت دارها علىٰ

---

(١) سورة القصص، الآية:7.

حافة النيل فاتخذت تابوتا ومهدت فيه مهدا وجعلت ترضع ولدها فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعته في ذلك التابوت وسيرته في البحر وربطته بحبل عندها فلما كان ذات يوم دخل عليها مَن تخافه فذهبت فوضعته في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وذهلت أن تربطه فذهب مع الماء واحتمله حتىٰ مر به علىٰ دار فرعون فالتقطه الجواري فاحتملنه فذهبن به إلىٰ امرأة فرعون ولا يدرين ما فيه، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها.

المخرج.. والفرج:

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (١)، فحين ذهب ولدها في البحر أصبح فؤادها فارغا من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسىٰ. «**إن كادت لتبدي به** » من شدة وجدها وحزنها وأسفها كادت تظهر أنه ذهب لها ولد وتخبر بحالها لولا أن الله ثبتها وصبرها.. ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا

(١) سورة القصص، الآية: 10.

يَشۡعُرُونَ ﴾ [١]. لما استقر موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بدار فرعون وأحبته امرأة الملك واستطلقته منه عرضوا عليه المراضع التي في دارهم فلم يقبل منها ثديا وأبىٰ أن يقبل شيئا من ذلك فخرجوا به إلىٰ السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته فلما رأته أخته بأيديهم عرفته ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها. قال تعالىٰ: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [٢]. فرجعت أم موسىٰ بولدها راضية مرضية قد أبدلها الله بعد خوفها أمنا في عز وجاه ورزق دار، فأخذت ولدها ترضعه في بيتها وأجرت عليها امرأة فرعون النفقة والصلات والكساوىٰ والإحسان الجزيل، ولهذا جاء في الحديث «**مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته الخير كمثل أم موسىٰ ترضع ولدها وتأخذ أجرها**». ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل يوم وليلة أو نحوه والله أعلم، فسبحان من بيده الأمر، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الذي يجعل لمن اتقاه بعد

---

(١) سورة القصص، الآية: 11.

(٢) سورة القصص، الآية: 12-13.

كل هم فرجا وبعد كل ضيق مخرجا[1].

النهاية:

ويخبرنا الله العليم الخبير، الرحمن الرحيم، بما حدث لموسىٰ، ولولا ذلك ما عرفنا تتمة هذه القصة.. قصة الحياة التي وهبها الله تعالىٰ موسىٰ، إذ نجاه من الذبح، ونجاه من الغرق، ونجاه من الجوع، ونجاه من القتل، ومن قبل ذلك كله كتب له السعادة الأبدية فنجاه من الكفر وجعله رسولا نبيا، مصداقا لقوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[2]. ﷺ.

فلْبشر يا كل مظلوم خائف تطارده سكين الظلم وتطلبه آلة الذبح.. ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[3].

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) سورة يونس، الآية: 103.

(٣) سورة النور، الآية: 55.

أما القاتل الظالم فرعون الذي أعمل آلته في رقاب الأطفال ذبحًا، فكانت نهايته أليمة، وإن كان موسىٰ قد ألقي في اليمّ هربا منه فقد أخرجه الله سالما، أما هو فقد دخله ولم يخرج منه حيًّا، وإنما جثة هامدة، حيث قال الله تعالىٰ له: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾[1] .

(١) سورة يونس، الآية: 92.

يعقوب عليه السلام ..

وأبناؤه

4

يعقوب عليه السلام .. وأبناؤه..

هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم.. يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام.. كانت له قصة مع أبنائه حكاها لنا القرآن الكريم وخلدها، والقصص فيها المثل والقدوة كما أن فيها العبرة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١). ولنا في قصة يعقوب وأبنائه مواقف تربوية جديرة بالاهتمام تستحق أن تدونها كتب التربية وتتدارسها، وينشأ عليها المربون.

كانت البداية رؤيا رآها الابن يوسف وهو فتىً صغير لم يبلغ بعد، قصها علىٰ أبيه الذي علم منها أن لولده هذا شأنا عظيما، وأيقن – و هو النبي – صدق الرؤيا وتحققها ووقوعها، وأن يوسف سيرث هو الآخر النبوة ويصير كآبائه.. كان يوسف في هذا الوقت ابن اثنتي عشرة سنة ومن هنا كانت نصيحة أبيه له أن يكتم رؤياه ولا يبوح بها حتىٰ لأقرب الناس إليه.. إخوته.. ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا

(١) سورة يوسف، الآية:١١١.

تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [(١)].

حب.. وغيرة.. وحسد:

نشأ يوسف وأخوه بنيامين وقد فقدوا الأمّ الحانية دون بقية إخوتهم، وكان يعقوب عليه السلام يرفق بهما وكأنه يقدم لهما حبّا بديلا عن حبها، يظهر هذا في العطف والاهتمام بهما والمِيل لهما خاصة ليوسف الذي ازداد حبه له بعد هذه الرؤيا التي عبرها بخضوع إخوته له وتعظيمهم إياه تعظيما زائدا بحيث يخرون له ساجدين إجلالا واحتراما، قد يُعذَر يعقوب في هذا الحب، لكن أبناءه لم يقدروا حاجة الصغير لاهتمام وحنان أكبر، وظنوا أن مكانتهم عند أبيهم انتزعت منهم فلا وجود لها وأن قلبه قد خلا من حبهم، ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [(٢)].

وأحب يعقوب يوسف وفاض حبه، والحب في القلب لا

---

(١) سورة يوسف، الآية: 5-6.

(٢) سورة يوسف، الآية: 8.

يملكه الإنسان ولا يتكلفه فهو من الله تعالىٰ، لكن هذا الحب لم يدفع يعقوب لظلم أولاده في هبة أو عطية أو تركة أو ميراث كما يفعل البعض، إنه حب الصغير الضعيف يتيم الأم.. هكذا كان يجب علىٰ إخوة يوسف أن ينظروا لهذا الجانب في حياته، لكن هذا لم يحصل منهم، فالولد لا يعرف هذه المعاني وليس في صدره قلب أب! ومن هنا كان لا بد علىٰ الوالدين إن شعرا بميل قلبي نحو أحد أولادهما لسبب أو آخر أن يغلقا علىٰ هذا الحب باب القلب ولا يسمحا له بالخروج أو التنزه خارج أسواره ولو لبضع لحظات، وإلا فإن جرس الإنذار سيعلو محذرا من إظهار تلك المشاعر، حركة كانت أو كلمة، لمسة أو قبلة، عطية أو هدية. وقد دفع يوسف ثمن هذا الحب غاليا! فكان الحسد من إخوته، الذي تولد عنه الكيد والمكر، والكذب والخديعة، والعقوق والقسوة، ومن ثَم التخلص منه وإلقاؤه في الجب، وقد تعجلوا ذلك فقالوا ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ (١). فأضمروا التوبة قبل الذنب واجتمعوا علىٰ أمر عظيم من قطيعة الرحم وعقوق الوالد

---

(١) سورة يوسف، الآية: 9.

وقلة الرأفة بالصغير فكان ما كان ليوسف من الإلقاء في الجب، والإبعاد، فالرق، ثم الحبس والسجن. وكان للشيطان ما أراد من بث نار الغيرة والحسد في قلوب أبناء يعقوب.

رسالة لكل والد.. ونصيحة لكل ولد:

قيل للحسن: (أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك ببني يعقوب). فيا أيها الأب.. إياك أن توغر صدور أبنائك بالكراهية والحسد ضد بعضهم البعض دون أن تشعر، لا تفرق بين الذكر والأنثىٰ فهناك من يحب الولد أكثر من البنت ويتبع ذلك تفضيله عليها في التربية والحب والنفقة والعطاء والميراث. وقد قال النبي ﷺ «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**» (١) ، «**اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم**»(٢). وقد جاء رجل إليه فقال «**إني تصدقت علىٰ ابني بصدقة فاشهد. فقال هل لك ولد غيره؟ قال: نعم! قال: أعطيتهم كما أعطيته؟. قال: لا! قال: لا أشهد علىٰ جور**»(٣) .

تجنب إظهار الحب الزائد لأخ دون أخيه، وإن وجدت مفاضلة بينهما فحاول أن تتحدث إلىٰ أولادك وتشعرهم أنهم في

(١) رواه مسلم.
(٢) صحيح النسائي.
(٣) صحيح النسائي.

المكانة عندك سواء، وأنهم جميعا أبناؤك، كن بارا بهم وأعلمهم أن الإحسان يأسر النفوس وأن البر يأخذ القلوب ليتسابقوا في برك، بيّن لهم سبب اهتمامك بأحدهم إن وجد، فقد سئل بعض الناس من أحب أبنائك إليك؟ فقال: الغائب حتىٰ يعود، والمريض حتىٰ يشفىٰ، والصغير حتىٰ يكبر.

وأنت أيها الابن.. لا تظلم أباك وتتهمه، أحسن الظن فيه وكن بارا رحيما، لا تسيئ لإخوتك ولا تحقد عليهم وكن محبا صادقا ناصحا مخلصا أحب لهم ما تحب لنفسك تنعم برضا والديك وحب إخوانك.

آثار سيئة:

إن التفرقة في معاملة الأولاد والتمييز بينهم يورث الغيرة ويؤجج نار الحسد التي تأكل معها كل جميل. والغيرة من تغير القلب وهيجان الغضب وهي كراهة شركة الغير في حقه.

أما الحسد فهو تمني زوال نعمة المحسود إلىٰ الحاسد، قال الراغب: (الحسد تمني زوال نعمة مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها). ومن هنا قال إخوة يوسف ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ

أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ ﴾[(١)] فتمنوا زوال نعمة الحب عنه وهو الصغير الضعيف، وسعوا في إزالتها بإبعاده عن أبيه، لتنتقل إليهم بعد أن يخلو البيت منه أمام يعقوب. ويوسف لا ذنب له، وماذا عساه أن يفعل مع الحسد؟! قال معاوية رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: (كل الناس أقدِرُ علىٰ رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها). وقد رغب النبي ﷺ في صفاء القلوب ورضاها فقال: «**لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا**»[(٢)] .

القصة لم تنته بعد:

فعل أبناء يعقوب به وبأخيهم يوسف ما فعلوا، وكذَبوا أباهم حين أتوه يبكون يوسف ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ ﴾[(٣)].. بكىٰ يعقوب ما بكي حتىٰ نضبت الدموع وجفت ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾﴾[(٤)].. شكا إلىٰ الله تعالىٰ وأسكت كل من يلومه ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[(٥)].. أما يوسف

---

(١) سورة يوسف، الآية: 9.

(٢) أخرجه الطبراني.

(٣) سورة يوسف، الآية: 18.

(٤) سورة يوسف، الآية: 84.

(٥) سورة يوسف، الآية: 86.

فكان في حفظ الله وقد تغيرت أحواله وتبدلت، فمن قاع الجب المظلم إلىٰ قصر العزيز.. ها هو قد بلغ أشده، وها هي امرأة العزيز تراوده عن نفسه ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾[1].. صرف الله عنه السوء والفحشاء ونجاه من فتنتها لكنه لم يلبث إلا قليلا حتىٰ كابد فتنة أخرىٰ لا تقل قسوة عما سبقها، وهي فتنة السجن ظلما.. لكنه لم يستسلم، إنما كان داعيا إلىٰ الله راضيا بقضائه، راغبا فيما عنده.

ومِن بين ظلام السجن لاح نور الفجر، رفرفت الحرية وعلا طائرها حتىٰ حطّ عند يوسف فكان الفرج والنصر والتمكين. وفي هذا بشارة لكل محروم أو مبعَد، ولكل مشرد أو طريد، وأملا لكل مَن سُجن ظلما، وكل من فرق بينه وبين أهله وأحبابه، فلا بد أن يجتمع الشمل بعد طول اشتياق، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [2] . ومهما طال الزمان ستزول الحواجز حتما بقوة الله، وتنزع الخيام وتتهاوىٰ السدود، وفي يوسف وقصته العزاء والسلوىٰ والأمل.

---

(١) سورة يوسف، الآية: 23.

(٢) سورة الشرح، الآية 5-6.

نعم.. فمن بعد فراقه الأهل وغربة الوطن ظهرت تباشير اللقيا ولاح أمل اللقاء بعد حرمان طويل! ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ (١).وتستمر القصة بما فيها من معاناة نفسية ومشاعر مختلطة، اجتمع فيها يوسف بأخيه، لتنتهي بلقاء أبيه ورؤية إخوته وبقية أهله ، ليتحقق وعد الله وتقع الرؤيا التي رآها منذ زمن. ها هم إخوته وقد شعروا بقبح فعلتهم، ما أقسىٰ ما يشعرون به الآن! كيف ينظرون في وجه أخيهم؟!

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴾ (٢). ويأتي الرد من الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٣). إنه الصفح الجميل بلا لوم ولا عتاب ولا توبيخ أو عقاب.. عفا وهو العزيز «**وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا** » (٤).

---

(١) سورة يوسف، الآية: 58.

(٢) سورة يوسف، الآية: 91.

(٣) سورة يوسف، الآية: 92.

(٤) رواه مسلم.

وكما قيل: ليس الحليم من ظُلم فحلم، حتىٰ إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظُلم فحلم حتىٰ إذا قدر عفا. إنها معان نحتاجها جميعا وتستحق أن تخلد

وهكذا قدر الله تعالىٰ ليوسف أن يكون سببا في جمع شمل العائلة من جديد، جاءوه وبيده خزائن الأ رض ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (١).

(١) سورة يوسف، الآية: 99-100.

لقمان الحكيم..

وابنـه

5

لقمان الحكيم.. وابنه..

لقد رفعه الله تعالىٰ وآتاه الحكمة، فمنحه الفهم والعلم والتعبير، لم يكن لونه الأسود ليقف حاجزا له عن سلوك سبيل الحكماء والسير علىٰ دربهم، كما لم تكن شفتاه الغليظتان لتحُول دون خروج الكلام الرقيق من بينهما. قال لرجل ينظر إليه: إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق، وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض.

كان ينطق بالحكمة ووصفه الله تعالىٰ بها في القرآن الكريم، وأنزل سورة كاملة خلدت اسمه، وذكرت بعضا من وصاياه التربوية العالية التي حق لها أن يتخذها الآباء والمربون والمؤدبون منهجا ودستورا في تربية أولادهم وتلاميذهم.

نسبه.. وموطنه:

أما عن نسبه وموطنه فقد غطىٰ اتصافه بالحكمة وشهرته بها علىٰ معرفة ذلك معرفة يقينية، فتعددت الأقوال فيه، فقيل هو

لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح، وهو آزر أبو إبراهيم، أي أنه كان من أولاد آزر . وقيل: هو لقمان بن عنقاء بن سرون وكان نوبيا من أهل أيلة، وكان قصيرا أفطس الأنف . وقيل كان لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته، وأنه عاش ألف سنة وأدركه داود عليه الصلاة والسلام وأخذ عنه العلم، وأنه كان يفتي قبل مبعث داود، فلما بعث قطع الفتوىٰ فقيل له فقال: ألا أكتفي إذ كفيت. وقال الواقدي: كان قاضيا في بني إسرائيل. وقال مجاهد كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين . وقال سعيد بن المسيب : كان لقمان أسود من سودان مصر ذا مشافر، أعطاه الله تعالىٰ الحكمة ومنعه النبوة.

لقمان.. والحكمة:

وهبه الله الحكمة ورزقه إياها وميزه بها، وجعلها تجري لسانه وقوله، وتغلب علىٰ عقله وقلبه، وتؤثر في فكره، وتظهر مع عمله.. قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ...﴾ (١) والحكمة نعمة كبيرة من نعم الله لا يعطيها جميع خلقه بل يمن بها علىٰ من يشاء من عباده، فالله تعالىٰ يقول: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ (٢). والحكمة مصدر من

(١) سورة لقمان، الآية: 12.

(٢) سورة البقرة، الآية: 296.

الإحكام وهو الإتقان في قول أو فعل، وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه، فقيل للعلم حكمة لأنه يمتنع به، وبه يعلم الامتناع من السفه وهو كل فعل قبيح. وقد كرر ذكر الحكمة في هذه الآية ولم يضمرها اعتناء بها وتنبيها علىٰ شرفها وفضلها.

ومما قيل في الحكمة: أنها الإصابة في القول والفعل، وقيل هي الخشية، والورع، والعقل في الدين وطاعة الله. وقال مالك بن أنس: الحكمة المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له.

وقد ارتقىٰ لقمان بما أوتي من هذه الحكمة، فعن جابر قال: إن الله رفع لقمان الحكيم بحكمته فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال له ألست عبد بني فلان الذي كنت ترعىٰ بالأمس؟ قال بلىٰ. قال فما بلغ بك ما أرىٰ؟ قال قدر الله وأداء الأمانة وصدق الحديث وتركي ما لا يعنيني. وقال له رجل آخر: أنت لقمان أنت عبد بني الحسحاس؟ قال نعم. قال أنت راعي الغنم؟ قال نعم. قال أنت الأَسوَد؟ قال: أما سوادي فظاهر فما الذي يعجبك من أمرِي؟ قال وطء الناس بساطك وغشيهم بابك ورضاهم بقولك. قال يا ابن أخي إن صغيت إلىٰ ما أقول لك كنت كذلك، ثم قال له: غضي بصرِي، وكفي لساني، وعفة طعمتي، وحفظي فوجي،

وقولي بصدقي ، ووفائي بعهدي ، وَتكرمتي ضيفي ، وحفظي جاري، وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيرني إلىٰ ما ترىٰ.

وعن خالد الربعي قال: كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها. قال أخرج أطيب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب، ثم مكث ما شاء الله ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها، قال أخرج أخبث مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب، فقال له مولاه أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما ! فقال لقمان إنه ليس من شيء أَطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا.

لقمان.. وفقه الدعوة:

وقد قدم لقمان الحكيم لكل الآباء والمربين والمؤدبين الوصايا الذهبية في العملية التربوية، والتي تصلح أن تكون قواعد وأسسا ومنهجا للتربية الصحيحة المتكاملة من خلال وصاياه الحكيمة لابنه، فقد جمع فيها بين الحقوق وراعَىٰ جوانبها المختلفة، ووضع سُلم الأولويات لها، فبدأ بأهم ما يحتاجه ابنه ليعيش إنسانا سويا مرتاح البال مطمئن القلب سعيدا في الدارين،

قال له: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ ﴾(١).. وهو هنا يحدد الهدف ويوضح الغاية التي من أجلها خلق، فيرتقي بعقله بعيداعن التدني وينأىٰ به عن الوقوع في مستنقع الشرك وظلم النفس. فها هو يربطه بربه عز وجل من خلال توحيده في الاعتقاد والعبادة والقول والعمل، وهذا هو العدل بعينه، فالشرك هو قمة ظلم الإنسان لنفسه وقد خلقه الله تعالىٰ مسلما موحدا. يقول الله تعالىٰ في الحديث القدسي : «**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا** »(٢). لذا فإن أول ما يجب علىٰ المربين عمله عند ارتقاء سُلم التربية هو الدعوة إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، كما أنه أول حقوق الأطفال علىٰ آبائهم وأمهاتهم. ألم يقل رسول الله ﷺ: «**افتحوا علىٰ صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله**»(٣). وقد تنوعت أشكال الشرك في زمننا هذا تنوعا يحتاج في المقابل التنوع في طرق وأساليب الدعوة ، وهذا دور الوالد ين والمربين الحقيقي.

---

(١) سورة لقمان، الآية: 13.

(٢) رواه مسلم.

(٣) البيهقي- شعب الإيمان.

«إن الله لطيف خبير»:

لم يترك لقمان ولده بعد أن أوصاه بتوحيد الله عز وجل دون أن يبين له سبب هذه الوصية، ويثبتها في قلبه ونفسه، لتكون ثابتة ثبوت الجبال الرواسي، لا تزعزها فتنة ولا تقلعها ريح شك أو ارتياب، ولا تغزوها شهوة أو شبهة أو هوىٰ نفس، وها هو يدعوه للتفكر والتأمل في قدرة الله والتعرف علىٰ صفاته عز وجل من خلال الكون المحسوس والآيات المبثوثة فيه، وفي هذا احترام لعقل ولده الذي قد يتساءل ويطلب وسيلة إقناع كما يحدث من بعض أولادنا في هذا الزمان، حيث صبغت المادة حياتنا إلىٰ حد كبير، وصار العلم المادي طاغيا، لكنه قد يصلح كوسيلة من وسائل الدعوة وسبيلا إلىٰ توحيد الله ومعرفته إذا ما أحسن استخدامه. ويتساءل الابن (يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله)؟ فيجيب الأب : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾[١].ويشرع الأب الحكيم في الارتقاء بنفس ولده إلىٰ نفس مطمئنة من خلال بيان قدرة الله وعلمه

(١) سورة لقان، الآية 16.

الشامل المحيط بكل صغيرة وكبيرة، حتىٰ لا توسوس النفس له عصيانا في خلوة، فالرقيب عز وجل يرانا أبدا ويرصد تحركاتنا دائما قد أَحاط بكل شيء علمًا، وأَحصىٰ كلّ شيء عددًا، سبحانه لا شريك له ، ومن عظيم قدرته أنه يحيط علما بكل ما يرتكبه العبد من المعاصي وما يعمل من الطاعات ، وإن تك الحسنة أَو الخطيئة مثقال حبة يأت بها الله.

ويسأل الابن أباه عن الحبة التي تقع في سفل البحر أيع لمها الله؟ فيراجعه لقمان بهذه الآية. يعلمه فيها بقدر قدرة الله تعالىٰ ، لأن الخردلة يقال: إن الحس لا يدرك لها ثقلا، إذ لا ترجح ميزانا. فلو كان للإنسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتىٰ يسوقها إلىٰ من هي رزقه . وكأنه أيضا يوصيه أ لا تهتم للرزق فتشتغل به عن أداء الفرائض واتباع سبيل من أناب ، وفيه حث علىٰ خلق التوكل علىٰ ربه والثقة بما عنده. وبهذا المعنىٰ يتحَصَّل في موعظة لقمان لابنه ترجِيَة وتخويف وهذا من مناهج التربية الصحيحة التي يجب أن تتبع عند ممارستها. فا لإنسان في غمرة الحياة وإلحاح الحاجة قد يغفل عن هذه القيم والمفاهيم الإيمانية العالية، بل وينشغل بطلب الرزق عن أداء حق الله، فيفقد

جزءا كبيرا من توكله عليه وهو العليم الذي يخرج الرزق من خبايا الأرض بأمره، وما عليك أيها الإنسان إلا أن تسعىٰ للبحث والتفتيش بالسبل المشروعة، وتأخذه أخذا طيبا لا يفقدك الاتصال بالمنعم الرزاق، ولا يجعلك تغفل عن ذكره وشكره طرفة عين.

وصايا

لقمان لابنه

6

وصايا لقمان لابنه..

بعد أن أوصىٰ لقمان ابنه بتوحيد الله تعالىٰ، وبيّن له قدرة الله العظيمة وعلمه الشامل، دعاه أن يوثق علاقته بربه الواحد القوي العليم، ويديم الصلة به من خلال إقام الصلاة. والصلاة هي الدعاء، وهي الصلة بين العبد وربه، وهي لحظات الحب والتودد، والمناجاة والتقرب، والسؤال والطلب، والشكوىٰ والتصبر، كما أنها لحظات الراحة والطمأنينة والذكر ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٢٨﴾ [١]. بها تتولد الخشية والمراقبة، وتكون الإنابة والتوبة، والبكاء والارتقاء، يخرج منها المصلي وقد وُلد من جديد، فيشتغل بمراقبة الله تعالىٰ في كل قول أو فعل أو فكر، في سكونه وحركته، حتىٰ يرتقي إلىٰ مرتبة الإحسان«**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[٢]..

---

(١) سورة الرعد: الآية 28.

(٢) رواه البخاري.

ولعلنا ندرك سرّ اهتمام النبي ﷺ بها حين قال: «**مروا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين**»[١]. فهي عمود الدين لأثرها العظيم علىٰ حياة العبد كلها، قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾[٢] ومن هنا كانت وصية لقمان لابنه.

«يا بني أقم الصلاة»:

فإقام الصلاة: إدامتها والقيام بحدودها، وأداؤها في أوقاتها بشروطها. وهي أساس كل خير، فإذا دخل المُـصلي محرابه وخشع وأخبت لربه، وادَّكر أنه واقف بين يديه وأنه مطلع عليه ويراه صلحت لذلك نفسه وتذللت، وظهرت علىٰ جوارحه هيبتها، ولم يكد يفتر من ذلك حتىٰ تظله صلاة أُخرىٰ يرجع بها إلىٰ أفضل حالة، وصلاة المؤمن هكذا ينبغي أن تكون. قال أبو العالية: (إن الصلاة فيها ثلاث خصال، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة. الإخلاص والخشية وذكر الله. فالإخلاص يأْمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر،

---

(١) صححه السيوطي– الجامع الصغير.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: 45.

وذكر الله القرآن يأْمره وينهاه). لذا كان ابن عباس يقول: في الصلاة منتهَىٰ ومزدجَر عن معاصي الله. وقيل لعبد الله بن مسعود: إن فلانا كثير الصلاة فقال:إنها لا تنفع إلا من أطاعها. وكان يقول:لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر.

﴿وَأمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

وحين يقف المصلي بين يدي مولاه يتقلب بين جناحي الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، يدفعه ذلك للشفقة علىٰ العصاة وحب الإصلاح والصلاح لهم ليذوقوا أجمل ما تذوقه هو في الدنيا، القرب من الله ومناجاته، كما أنه يسعىٰ لتغيير المنكر من حوله والصبر علىٰ ما يصيبه في سبيل ذلك، ألم يقل النبي ﷺ: «**من رأىٰ منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١). وليس لمن يقف أمام الله مصليا ذاكرا أن يكون غافلا مع مَن غفل، بل إنه يغير المنكر قدر استطاعته، شريطة ألا يؤدي تغييره إلىٰ منكر أكبر منه. وكأن لقمان يعظ ابنه أن أصلِح نفسك وحاول أن تصلح غيرك، كن يا ولدي مؤثرا، اترك أثرك

(١) رواه مسلم .

الصالح وضع بصمتك الطيبة علىٰ كل ما حولك، ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾(١).. إن التغيير إلىٰ الأحسن دأب المؤمنين، ولا يتأتىٰ ذلك التغيير بغير إصلاح النفس أولا، ومن بعده إصلاح الأسرة وإصلاح المجتمع. وتغيير المنكر باب عظيم من أبواب الدعوة إلىٰ الله عز وجل، وله مراتب أقلها تغييره وإنكاره بالقلب ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ (٢)، ويتفاوت فيه الناس، فما يجب علىٰ العالم قد لا يجب علىٰ غيره، وما يقع علىٰ عاتق ولي الأمر أعظم وأكبر مما علىٰ عامة الناس، وعلىٰ قدر المسئولية يتعين التغيير ويُطلب، والله تعالىٰ لا يرضىٰ من عبده أن يستسلم للواقع بأمراضه وآفاته مغلوبا علىٰ أمره، دون أن يقدم أحسن ما عنده من دواء لا سيما إذا كان يملك ذلك الدواء، قد يقدمه بنفسه ويعالج بيديه، وقد يأمر بالتداوي ويحث عليه، وإلا تمنىٰ من أعماقه الشفاء وذهاب الداء.

كما أن الدعوة أيضا لها أساليب، قال تعالىٰ ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ..﴾ (٣). إنها

---

(١) سورة لقمان، الآية: 17.

(٢) سورة البقرة، الآية: 286.

(٣) سورة النحل، الآية: 125.

تحتاج لأطباء القلوب الذين يتوددون إلىٰ عباد الله ﷻ ويمسحون علىٰ جراح ذنوبهم برحمة، ويداوون أمراضهم بصبر، يدعونهم بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وقد قال الله تعالىٰ لموسىٰ وهارون عليهما السلام حين أرسلهما إلىٰ فرعون ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (١). وإذا ما رفضت بعض هذه النفوس النصح ولفظت الدواء فلا ضير «**واصبر علىٰ أصابك إن ذلك من عزم الأمور**»، وإن بارزك بعضهم يا بني بأذىٍأو ضرر فلا تجزع فإن مِن حقيقة الإِيمان الصبر علىٰ المكاره، وإن إقامة الصلاة والأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما عزمه الله وأَمر به، و إن ذلك من مكارم الأخلاق وعزائم أَهل الحزم السالكين طرق النجاة.

«**ولا تصعر خدك للناس**»:

وإذا كان الإنسان مرتبطا بربه، ذا أثر في محله، مصلحا في الأرض يحب الخير للناس، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، فإن من لوازم ذلك كله أن يكون متواضعا هينا لينا، لا يستعلي ولا يتكبر علىٰ إخوانه من بني آدم، وهذا من حسن معاشرة الخلق، لذا فإن لقمان الحكيم لم يهمل ذلك الجانب حين وعظ ابنه، إنه

(١) سورة طه، الآية: 44.

يقول له: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١). وإنه لخلق راق في التعامل مع الغير، إنه التواضع وخفض الجناح ولين الجانب. إن لقمان ينهىٰ ولده أن يكون أصعر، وَالْأَصْعَر هو الْمُعْرِض بِوَجْهِهِ كِبْرًا، يُقَال: أَصَابَ البعير صَعَر إذا أصابه دَاء يَلْوِي منه عُنقه. فكأنه يقول له لا تُمِلْ خَدَّك عَن الناس تكبُّرًا عليهم وإعجابًا، وَاحذر أَنْ تلويَ شِدْقك إذا ذكر الرجل عِندك كأنك تحتقره، ولا تعرض بوجهك عنهم إذا كلمتهم أو كلَّمُوك احتِقارًا منك لهم، بل أقبل عليهم متواضعًا مُؤْنِسًا مُسْتأْنِسًا، وَأَلِنْ جَانِبك وَابْسُط وَجهك إليهم، وَإذا حَدَّثك أَصغَرُهُم فَأَصْغ إليه حتىٰ يُكْمِل حَدِيثه.

إن منظومة الأخلاق واحدة ومتكاملة منذ خلق الله الإنسان، وهي ثابتة لا يدخلها التبديل، بل يجب أن تظل كما أرادها الله في أحسن صورة، وإن ما يحدث من أخلاق مغايرة لهذه الصورة قد تنعكس سلبا علىٰ الإسلام والمسلمين، وتكون سببا في الفتنة والصد عن سبيل الله، ولا أحد ينكر ما أحدثته الأخلاق الطيبة من دخول الناس في دين الله أفواجا عبر بوابة أخلاق الإسلام وأهله

(١) سورة لقمان، الآية: 18.

حين عضوا عليها بالنواجذ ولم تغيرهم الدنيا ولا التكالب عليها، حين فقه كل واحد دوره فعرف ما له وما عليه. ألم يقل النبي ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»(١) ، «**لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقىٰ أخاك بوجه طلق**»(٢) ، «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة**»(٣) . إنها قيم جميلة ناصعة حُقَّ لها أن تعود من جديد لننعم بها.

«ولا تمش في الأرض مرحا»:

ويذكر لقمان لابنه نتيجة الكبر وعلاماته وتوابعه وأثره فيقول له: «ولا تمش في الأَرض مرحا » متبخترا متكبرا جبا را عنيدا، فرحا في غير شغ ل، مختالا فخورا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٤).. والفخور: هو الذِي يعدد ما أعطي ولا يشكر الله تعالىٰ، ويختلف التفاخر والتعالي من إنسان لآخر فقد يكون بالنسب والحسب، وبالجاه والمال والولد ، وبالوظيفة واللباس

---

(١) الجامع الصغير- صححه السيوطي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) أخرجه الترمذي ، صححه الألباني.

(٤) سورة لقمان، الآية: 18.

والجمال. وقد قال ﷺ: «**من جر ثوبه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[١] ، وقال: «**كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب، لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون علىٰ الله من الجعلان**»[٢] .

«**واقصد في مشيك**» امش مشيا مقتصدا ليس بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط بل عدلا وسطا بيْن بيْن. «**واغضض من صوتك**» فلا تتكلف رفع ه فإن الجهر بأكثر من الحاجة يؤذي و«**إِن أنكر الأصوات لصوت الحمير** » فهو أقبحها وأوحشها، وهذه الآية أدب من الله تعالىٰ بترك الصياح في وجوه الناس تها ونا بهم أو بترك الصياح جملة. والحمار مثل في الذم البليغ، وكذلك نهاقه، ولو أن شيئا يهاب لصوته لكان الحمار. وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالهب من الشيطان فإنها رأت شيطانا**».

يا بني:

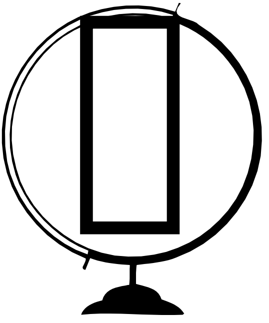
يا بُنيّ إذا أتيت نادي قوم فَارْمهم بسهم الإسلام –يعني السلام– ثم اجلس في ناحيتهم فلا تنطق حتىٰ تراهم قد نطقوا،

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صححه الألباني وحسنه السيوطي في الجامع الصغير.

فإن أفاضوا في ذكر الله فَأَجِلْ سهمك معهم، وَإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلىٰ غيرهم.



نونو يتحدث عن نفسه !

(في يوم عقيقته)

7

نونو يتحدث عن نفسه!

(في يوم عقيقته)

من المؤكد أنكم اليوم مجتمعون في هذه الجلسة الطيبة من أجلي! لذا لو كان لي أن أتكلم فسأحدثكم عن نفسي وأقول لكم:

كنت في عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وحده، لم يرني أحد علىٰ الإطلاق من البشر، بل ولم يتعرف عليّ أقرب الناس مني.. أبي وأمي.. وجدي وجدتي.

وبدأت حكايتي كما يحكيها الأجداد والآباء عندما تقدم الشاب الطيب (**عبد الله**) الذي هو أبي الآن، بطلب ودعاء إلىٰ الله عز وجل أن ييسر له ما يريد. فماذا كان يريد أبي؟ أتعرفون؟

إنه كان يريد العفة والطهارة، ويرغب به في بناء بيت نظيف، كما رباه والداه جزاهما الله خيرا، إنه يريد بيتا صالحا يجد فيه

شريكة صالحة ذات دين حتىٰ تشاركه حياته كلها بحلوها ومرها، وتعينه علىٰ دينه، تذكّره إذا ما نسي، وتساعده إذا تذكّر، ومن حسن حظي أنا أن أبي وجد ذلك في فتاة جميلة خَلقا وخُلُقا، علت وسمت علىٰ الشهوات، فكان لها من اسمها نصيب، إنها أمي الحبيبة.. ماما (**أمة الله**)، وتالله إني لأجد في قلبها رأفة ورحمة عليّ حين أرفض النوم، وتصبر عليّ حين أُضرِب عن الهدوء ، وتداعبني إذا ما علا صراخي بسبب وبغير سبب.

المهم أن أبي الحبيب (**عبد الله**) تقدم لأمي مع والديه، جدي وجدتي الحبيبة، لَكَم هي جدة حنون كريمة! إنها تحبني كثيرا رغم أني لم أقدم لها حتىٰ الآن شيئا، وما أجمل حضنها الدافئ حين تضمني إليها!

كان أبي راغبا في بناء بيت يؤسسه مع أمي علىٰ تقوىٰ الله من أول يوم يدخل كل منهما فيه. حتىٰ أكون ثمرة طيبة من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وتم الزواج المبارك علىٰ سنة الله ورسوله ﷺ، وإذا بمعجزة الخلق تتحقق ويراها جميع الناس، وإذا بي بعد زواج أبويّ، أُخلَقُ من نطفة، كما قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ

مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [(١)]. وإذا بي أتحول بقدرة الله عز وجل إلىٰ علقة وقطعة من الدم فتعلقت بجدار رحم أمي، ثم ما لبثت أن تحولت إلىٰ مضغة وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ.

فكنت كما قال الله تعالىٰ عني: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[(٢)]. وكنت كما قال النبي ﷺ: «**إن أحدكم يُجمَع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفةً، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملَكا، ويُؤمرُ بأربعِ كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد؛ ثم يُنفخ فيه الروح**»[(٣)].

وفي الصحيح أيضا قال: «**إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم يقول أي رب أذكر أم أنثىٰ**». وعن ابن مسعود وعن ابن عمر أن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها

(١) سورة المرسلات الآية: 20،21.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: 14.

(٣) صحيح الجامع .

ملك بكفه فقال: يا رب، ذكر أم أنثىٰ، شقي أم سعيد، ما الأجل والأثر، بأي أرض تموت؟ فيقال له انطلق إلىٰ أمّ الكتاب فإنك تجد فيها قصة هذه النطفة، فينطلق فيجد قصتها في أمّ الكتاب، فتخلق فتأكل رزقها وتطأ أثرها فإذا جاء أجلها قبضت فدفنت في المكان الذي قدر لها.

وبالرغم من تواجدي بعيدا عن عالمكم، إلا أنني كنت أشعر بكل ما يحصل فيه، فكنت أتألم حين تحزن أمي خاصة وهي جالسة أمام شاشة التلفاز تتابع الأخبار المؤلمة التي يمر بها العالم، وأنزعج وأفزع من الأصوات العالية إذا ما ارتفع صوت التلفاز.

ومع ذلك كنت أسعد حين يتناجىٰ أبي مع أمي بحب وسلام، وأطير فرحا وأنتعش في بطنها حين تضحك وتفرح . أمّا أسعد اللحظات فقد كانت حين تصلي لله وتذكره وتدعو لي وتقرأ القرآن فتسمعني كلام الله وعندها أهدأ وأطمئن فأنام.

وبالرغم من أنني كانت تحيط بي ظلمات ثلاث، ظلمة البطن، وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، إلا أنني كنت أتكئ تارة علىٰ اليمين وتارة علىٰ الشمال، أتمدد أحيانا وأنكمش أحيانا، أو

أتكور وأتحرك فتتألم لحركتي أمي لكنها فرحة، والحق أنها كانت حريصة علىٰ راحتىٰ وتخشىٰ عليّ وتحبني وهي لم ترني بعد، فسبحان الله، حملتني وهنا علىٰ وهن، وفي كل يوم يزداد وزنها ويثقل جسمها، ويشحب وجهها، وهي مع ذلك فرحة وسعيدة.. عجيب أمر الأمهات، لا تكتمل سعادتهن إلا ببذل الحب وراحة الولد والعطاء بلا حدود ودون انتظار مقابل إلا من الله.

المهم بعد أن اكتمل خلقي في بطن أمي، وجعلني الله في أحسن تقويم، حانت لحظة الفراق الأولىٰ في حياتي. . وما أصعبها، لقد تعودت الالتصاق بها حيث يربط بيننا حبل متين (**الحبل السري**) لكن دوام الحال من المحال، وقد حانت لحظة الانفصال الجسدي وفراق رحم أمي الذي ضمني تسعة أشهر تقل أو تزيد، أتقلب فيه كما أشاء في القرار المكين الذي خلقه الله من أجلي. وكانت لحظات صعبة وغاية في الإعجاز، وبدأت معجزة الخلق تتحقق.. يا إلهي كيف سأخرج من عنق هذا الرحم، لكأنه عنق زجاجة! إنه ضيق.. كيف أستطيع عبوره إلىٰ الحياة الجديدة.. إلىٰ عالم الدنيا.. يا الله أدركني، يا الله خلّصني. يا الله أخرِجني وأخرِجْ أمي من هذه المحنة سالمة.

كانت أمي هي الأخرىٰ تذكر الله وتردد الشهادتين بين لحظة وأخرىٰ، وتنادي بصوت أسمعه.. ياااااا الله.. يااااا رب.. يااااارب.

وحانت لحظات الخلاص الذي ينتظرها الجميع من حولها بعد أن اشتد الكرب، وإذا بوجه اليُسر يطل مبتسما وقد ولّىٰ العُسر وهو عبوس.

وفي لحظة مباركة من لحظات الفرج التي يأتي بها الله ويدرك بها عباده أتىٰ أمر الله، وفجأة رأيت المعجزة ! وإذا بعنق الرحم يتسع ويتسع! وإذا بقدرة الله العظيم تجعلني أندفع من خلاله وأحاول جاهدا المرور فيه، وأتألم كما تتألم أمي، وكلانا يريد أن يعانق الآخر ويبادله القبلات، ولا يجد كلانا بُدًّا من أن يصبر صبرا جميلا حتىٰ يتم اللقاء الحميم كمنحة إلهية وجائزة ربانية. كنت أشفق علىٰ أمي في تلك اللحظات، وشعرت بمعنىٰ الآية التي كانت بالأمس القريب تسمعني إياها وأنا في بطنها.. ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ (١). وأدركتُ أن هذه هي إرادة الله لي ولها حتىٰ ينعم كل منا بحضن الآخر، ويقترب الحبيب من حبيبه ويجتمع به

(١) سورة الأحقاف، الآية: 15.

في دار أوسع من دار الرحم التي سأغادرها الآن. وأخيرا بعد عناء ونصب، وبعد كبد ومشقة، وجدتني وقد اندفعت لأخرج ، وحين أطللت بوجهي وأصبحت علىٰ بوابة الخروج إذا بيد ناعمة تسحبني لأصير خارج الرحم، إنها يد الطبيبة جزاها الله خيرا.

بعد أن سحبتني يد الطبيبة وأنا أطل بوجهي مندفعا من رحم أمي الحبيبة، ومع أول إطلالة لي في عالم دنياكم وبمجرد خروجي شعرت بمن ينخسني ويمسني فصرخت باكيا، وشعرت أن من يفعل بي ذلك هو لا شك عدو لي، وبالفعل قد كان، إنه شيطان رجيم أعوذ بالله منه، لكأنه متخصص في نخس المواليد! ليضع بصمته علىٰ أجسادهم الرقيقة، حتىٰ إذا ما كبروا فانشغلوا بشيء من زخارف الدنيا عن ذكر الله عملت هذه البصمة عملها وظهرت بقوة من جديد متمثلة في الغفلة والإضلال والبعد عن طريق الله، وذلك بفعل الشيطان وهو يمارس معركة التحدي بينه وبين بني آدم ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ [١] إلا من رحم ربي فتاب عليه ليتوب إليه.

وقد علمت أمي أن النبي ﷺ قال: «**كل مولود يولَد من بني آدم**

---

(١) سورة الأعراف، الآية: 17.

يمسه الشيطان بإصبعه إلا مريم وابنها عليهِما السلام »[1]. لذا فقد أعطتني أبي ليؤذن في أذني اليمنىٰ ويقيم في أذني اليسرىٰ ففعل، فولّىٰ الشيطان هاربا حين سمع صوت الأذان، وهدأتُ أنا وانقطعت عن الصراخ.

سبحان الله.. الحياة كبد وعناء.. ومشقة ومعاناة.. حين خرجت من رحم أمي ومن القرار المكين الذي كان يحتويني، خرجت صغيرا ضعيفا وعريانا تماما، كنت جائعا خائفا، لا طعام معي ولا ملبس ولا مال في يدي بل ولا أملك شيئا من متاع دنياكم الزائل، أنظر حولي.. وجوه لا أعرفها، وأماكن لأول مرة أشاهدها، وأنوار بعد الظلمات الثلاث، وصخب وضجيج وضوضاء، وضحك وألم وبكاء، أحسست أنني ضيف علىٰ عالم جديد مجهول بالنسبة لي فأحسست بالمرارة، لكن طعم التمر اللذيذ الذي حنكني به أبي أنساني مرارة الفراق وأعاد إليّ توازني بعد معركة الانفصال عن رحم أمي، وأعطاني أمانا واطمئنانا فأحسست بأن في حياتي الجديدة أشياء حلوة كحلاوة هذا التمر، ولما انتهىٰ من تحنيكي وضعني علىٰ السرير ففزعت وخفت من

---

(١) رواه أحمد.

جديد، لكن حضن أمي أنساني ذلك في لمح البصر، لقد مس جلدي جلدها فأنساني ملمسها الحنون ضمة الرحم، وأنستني قبضة يدها الناعمة حين أمسكتْ بي قبضة اليد التي سحبتني وانقباض الرحم حين دفعني . لم أعد عريانا ولم أشعر الآن بالبرد، فقد ألبستني أمي الحنون الملابس الجميلة الجديدة التي جاء بها أبي حبيبي وجدتي حبيبتي، وألصقتني أمي رغم آلامها علىٰ بطنها فشعرت بالأمان، وألصقتني علىٰ صدرها فشبعت ونمت.

مسكين ويتيم من ولد ولم يجد له أمّا بجانبه تضمه، ومحروم من حُرِم عطف الأم وضمة صدرها الحنون لأي سبب كان. وعند المصريين مثل يقولون فيه: (**اللي ملوش أمّ حاله يغمّ**)! ربنا يحفظ لي أمي ويحفظ لكل طفل أمه.

بعد ذلك رجعت مع أبي وأمي إلىٰ البيت الذي لم أره من قبل ولأول مرة أدخله، كنت خائفا ولا أعرف أين يمشون بي ولا إلىٰ أي مكان يسوقونني، لكنني بمجرد الوصول وجدت وجوها جميلة قد عمّها البشر ترحب بي وتغمرني بنظراتها العطوف.. يا ألله.. إنها جدتي لأمي، وجدتي لأبي، وأهلي وأسرتي التي فقط

كنت أسمع أصوات بعضهم أحيانا وأنا في بطن أمي، ما أجمل الأسرة التي سأبدأ حياتي فرعا جديدا في شجرتها، وأستمد غذائي وقوتي من جذورها القوية، وأقوىٰ بالانضمام إليها.

وفي جلسة حيوية ضمتهم تجاذبوا أطراف الكلام عن الاسم الذي سيختارونه لي، عرضت أسماء كثيرة علىٰ مسامعي، اسم ...... و........ و......... و..... وغير ذلك من الأسماء، وأنا أريد ن أصرخ عند سماعها محتجا ولا أستطيع، كنت أريد أن أتكلم فأقول لهم من فضلكم اختاروا لي اسما جميلا له معنىٰ، اسما أنادَىٰ به في الآخرة علىٰ رؤوس الخلائق، وهذا من أول الحقوق لي، ثم تأكدت أن ما يعرضونه من أسماء كان مجرد فكاهة منهم وأنهم بعد جلسة المداولة هذه اختاروا لي اسما جميلا فعلا، فجزاهم الله خيرا.

والآن وقد مر علىٰ وجودي في حياتي الدنيا وقت وإن كان قليلا، إلا أنني بدأت أتعود علىٰ الحياة وأتعامل مع مَن حولي بحب وبراءة،

وأحب جدا قربي من جدي وجدتي، وأفرح حين أرىٰ وجه أبي يتبسم لي، ووجه أمي وأنا في حضنها، وبالتأكيد أنا الآن سعيد

بينكم وأشكركم جميعكم للحضور والاحتفال بي.

وأقول لماما: جزاك الله خيرا، أنت تعبت في حملي وولادتي وقد وهبني الله لك، وأصبحت الآن أمانة بين يديك، أنا لا أعرف شيئا في هذه الدنيا إلا ما تعلمينني إياه، عقلي نظيف لا نقش فيه إلا ما تفرغينه أنت وأهلي وأسرتي بداخله، فأرجوك يا حبيبتي حافظي علىٰ روحي وقلبي وعقلي كما تحرصين علىٰ غذائي ونظافتي وجسدي، حتىٰ أصير ابنا بارا بك مخلصا لك.

وأخيرا أقول لكل الأمهات: بعد كل التعب الذي تجدونه في الحمل والولادة حافظوا علينا، لا تتركونا دون توجيه، أدبونا أدبا حسنا وتعلموا كيف تفيدوننا فعلم التربية فن فاطلبوه، وليس من المعقول أن يخلقنا الله بهذا الإعجاز الدقيق المحكم ثم نُترَك بعده هملا بلا رعاية. والله تعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ (١). والنبي ﷺ يقول: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»(٢).

(١) سورة التحريم، الآية: 6.

(٢) رواه البخاري.

□

مسابقة
آباء.. وأبناء.. في
القرآن الكريم

مسابقة

آباء.. وأبناء.. في القرآن الكريم

قال الله في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(١). فيخبر تعالىٰ أنه اختار هذه البيوت علىٰ سائر أهل الأرض، فاصطفىٰ آدم عليه السلام، خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه الجنة، ثم أهبطه منها لما له في ذلك من الحكمة . واصطفىٰ نوحا عليه السلام وجعله أول رسول بعثه إلىٰ أهل الأرض لما عبد الناس الأوثان وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وانتقم له لما طالت مدته بين ظهراني قومه يدعوهم إلىٰ الله ليلا ونهارا سرا وجهارا فلم يزدهم ذلك إلا فرارا فدعا عليهم فأغرقهم الله عن آخرهم ، ولم ينج منهم إلا من اتبعه علىٰ دينه الذي بعثه الله به . واصطفىٰ آل إبراهيم ومنهم سيد البشر خاتم الأنبياء علىٰ الإطلاق محمد صلى الله عليه وسلم. وآل عمران والمراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم

(١) سورة آل عمران، الآية: 33.

عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ[1].

ويقال: اختار آدم بخمسة أشياء: أولها أنه خلقه بيده في أحسن صورة بقدرته ، والثاني أنه علمه الأسماء كلها ، والثالث أمر الملائكة بأن يسجدوا له، والرابع أسكنه الجنة ، والخامس جعله أبا البشر.

واختار نوحا بخمسة أشياء:أولها أنه جعله أبا البشر ، لأن الناس كلهم غرقوا وصار ذريته هم الباقين . **والثاني** أنه أطال عمره؛ ويقال: طوبىٰ لمن طال عمره وحسن عمله ؛ **والثالث** أنه استجاب دعاءه علىٰ الكافرين والمؤمنين؛ **والرابع** أنه حمله علىٰ السفينة؛ **والخامس** أنه كان أول من نسخ الشرائع ؛ وكان قبل ذلك لم يحرم تزويج الخالات والعمات.

واختار إبراهيم بخمسة أشياء: أولها أنه جعله أبا الأنبياء ؛ لأنه روي أنه خرج من صلبه ألف نبي من زمانه إلىٰ زمن النبي ﷺ ؛ **والثاني** أنه اتخذه خليلا؛ **والثالث** أنه أنجاه من النار ؛ **والرابع** أنه جعله إماما للناس ؛ **والخامس** أنه ابتلاه بالكلمات فوفقه حتىٰ أتمهن. ثم قال: «**وآل عمران**» فإن كان عمران أبا موسىٰ وهارون

---

(١) تفسير ابن كثير.

فإنما اختارهما علىٰ العالمين حيث بعث علىٰ قومه المنّ والسلوىٰ وذلك لم يكن لأحد من الأنبياء في العالم . وإن كان أبا مريم فإنه اصطفىٰ له مريم بولادة عيسىٰ بغير أب ولم يكن ذلك لأحد في العالم. والله أعلم[١].

وبعد –أيها القارئ الكريم– فقد حاولتُ في هذه المسابقة أن نعيش بعض المعاني العالية مع هذه البيوت التي ذكرها الله تعالىٰ في كتابه، نستلهم منها العبر ونجني بها ثمرة المعرفة التي يجب أن تترجم في أرض الواقع عملا مثمرا لتعم الفائدة، كل ذلك تجده بإيجاز في أسئلة هذه المسابقة، وعلىٰ المتسابق أن يقرأ ويثري معرفته عند قيامه بالإجابة علىٰ أسئلتها، وأن يستفيد من موضوعات هذا الكتاب في إجابته.

والله هو الموفق وهو الهادي إلىٰ سواء السبيل.. «**وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**».

والآن مع أسئلة المسابقة

(١) تفسير القرطبي.

السؤال الأول

- كان أسود اللون، غليظ الشفتين، قال لرجل ينظر إليه: إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق، وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض. وقد رفعه تعالىٰ وآتاه الحكمة، وأنزل سورة كاملة من القرآن الكريم تحمل اسمه وتذكر وصاياه.

أ – مَن هو؟ وفي أي جزء من أجزاء القرآن ذكَرَتْ السورة التي سُميت باسمه؟

ب- آية في الجزء الثالث من سورة البقرة ذكَرَتْ فيها كلمة (**الحكمة**) .. اذكر رقم الآية، واذكر أقوال العلماء في معنىٰ الحكمة.

ج- سلك هذا الوالد الحكيم في دعوته منهج (**فقه الأولويات**) .. وضح ذلك من خلال وصاياه لابنه.

د- كيف تدعو ابنك ليكون مسلما محبوبا من الناس مؤثرا فيهم من خلال رؤيتك لهذه الوصايا الحكيمة؟

السؤال الثاني

إنها قصة الإنسان من قديم الزمان حين يتنكّر لإنسانيته ويلقي بها بعيدا عن نفسه، فيتحول إلىٰ وحش كاسر لا قلب له ولا عقل..

قصة الإنسان حين يتنكّر لأخيه الإنسان فيعطي نفسه الحق أن يتخلص منه ويطوي حياته بيديه دون تردد..هي قصة الصراع حينتظهر (الأنا) وتعلو وتسود فيختلط تراب الأرض بدماء الأبرياء والمظلومين.. قصة سُطِّرَتْ وخُلدَتْ لتكون عبرة للعالمين.. تُذكّر بالدم وتحمل بين حروفها وثناياها رائحة الدم.. حيث كانت أول جريمة قتل تُرتكب علىٰ وجه الأرض بعد نزول آدم عليه السلام إليها.

أ- مَن القاتل ومَن المقتول في هذه القصة؟

ب- ما هي أسباب ارتكاب الجريمة كما ذكر المفسرون؟

ج-«مَن سنّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» .

د-كيف تطبق هذا الحديث علىٰ هذه القصة وتربطه بواقعنا المعاصر؟

السؤال الثالث

- إنها إنها قصة الإنسان حين يتنكّب عن طريق الله وينحرف عن سلوكه، فيظن غرورا وزورا أنه عنه غني ! كما أنها قصة الهداية التي يمنّ الله بها علىٰ مَن يشاء من عباده، والعدالة الإلهية التي لا تظلم ولا تحابي أحدا.

وهي قصة الأبوّة الحانية التي فطر الله عليها الآباء، والنبوّة الصادقة في دعوتها الأمينة الصابرة في تبليغ رسالتها حتىٰ آخر لحظة في حياة المدعوّ، فكيف إذا كان ابنا من صلب هذا النبي.

إنها جديرة لأن تُهدَىٰ لأصحاب الهمم العالية والمراتب السامية من أهل الدعوة إلىٰ الله، الذين لا يحيدون عن مبدأ الحق طرفة عين، وبمثل هذه الهمم تُرتَقَىٰ القمم!

أ- هو أبو البشر، وشيخ المرسلين، مكث في قومه ألف

سنة إلا خمسين عاما، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[1]. فمَن هو؟ وماذا يتعلم الدعاة من ذلك؟

ب- رابطة الدين أقوى من رابطة النسب.. بيّن ذلك من خلال سيرة هذا النبي الكريم وابنه.

ج- ما هي العقبات الي واجهت هذا النبي في دعوته؟ وماذا نتعلم منها؟

(١) سورة هود، الآية: 40.

السؤال الرابع

- هو الكريم بن الكريم ابن الكريم.. كانت له قصة مع أبنائه حكاها لنا القرآن الكريم وخلدها، فقد ارتكبوا إثما كبيرا، وأضمروا التوبةقبل الذنب واجتمعوا علىٰ أمر عظيم من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير. وكانت البداية رؤيا رآها الابن الفتىٰ الصغير أيقن منها أبوه صدقها وتحقق وقوعها وأن ابنه سيرث النبوة ويصير كآبائه.

أ- مَن هو هذا النبي الأب؟

ومَن هو ابنه؟

وما هي الرؤيا التي رآها الابن؟

وبماذا فسرها الأب؟

ب- لقد أضمر أبناؤه التوبة قبل الذنب.. كيف ذلك؟

ج- ما الذي جعل الإخوة يتآمرون علىٰ أخيهم؟ وما الدروس الذي يأخذها الآباء من ذلك؟

د- ارتكب الإخوة مع أخيهم وأبيهم عدة أخطاء أخلاقية.. اذكر ثلاثة منها مع التوضيح والبيان.

هـ- ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [1]. وضّح ذلك من خلال هذه القصة.

(١) سورة الشرح، الآية: 5.

السؤال الخامس

-إنها دروس التوكل على الله تعالىٰ في أعلىٰ درجاته، تُعَلمُها لنا امرأة! هي أمّ تملك كل مشاعر الأمومة، ويفيض قلبها حبا وحنانا وخوفا علىٰ فلذة كبدها شأنها في ذلك شأن سائر الأمهات، لكن يقينها العظيم بالله كان أقوىٰ من كل المشاعر، وتوكلها الصادق عليه كان أعظم وقد اختارها الله تعالىٰ لتكون أمّا لأكثر الأنبياء ذكرا في القرآن الكريم

أ- مَن هي هذه الأم؟ ومَن هو ابنها؟ ولماذا كانت تخاف عليه؟

ب- آية ذكِر فيها أمران ونهيان وبشارتان لهذه الأم؟ ما هي هذه الآية؟ وما هي الدروس المستفادة منها؟

ج- نحتاج اليوم إلىٰ مزيد من التوكل علىٰ الله، والثقة في وعده.. فكيف تطبق هذا القول علىٰ أرض الواقع؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أهم المراجع

1 – القرآن الكريم، وتفاسير القرآن (ابن كثير، القرطبي، الطبري، الجلالين)
موقع الإسلام الدعوي والإرشادي: http://quran.al-islam.com

2 – المكتبة الشاملة: http://www.shamela.ws

3 – معاجم اللغة العربية http://www.maajim.com

4 – الأدب الصغير لعبد الله بن المقفع http://sh.rewayat2.com

5 – الآداب الشرعية والمنح المرعية للمقدسي: إسلام ويب
www.islamweb.net

6 – الموسوعة الشاملة: *www.islamport.com*

7 – الدرر السنية (الموسوعة الحديثية) www.dorar.net

8 – موقع الإسلام سؤال وجواب: http://islamqa.info/ar

9 – شرح كتاب الفرائض – الميراث – من زاد المستقنع. للشيخ حمد الحمد
خطوة/ http://majles.alukah.net

10 – فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي الجزء الثالث.

11 – تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم (شبكة مشكاة الإسلامية).

12 – موقع قصة الإسلام: http://islamstory.com

13 – موقع المحدث: http://www.muhaddith

14 – موقع الإعجاز العلمي: http://www.eajaz.org/

15 – قاموس المعاني : http://www.almaany.com/

16 – موقع صيد الفوائد: http://www.saaid.net

17 – موقع مقالات إسلام ويب: http://articles.islamweb.net

18 – عظماء الإسلام: محمد سعيد مرسي.

الفهرس